طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

عـــدد 90
01 تشرين الثاني 2023

ما بعد الطوفان عربياً

نحو مشروع للنّهوض القومي

طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

عـــدد 90

01 تشرين الثاني 2023

محتويات العدد 90 من مجلة طلقة تنوير:

الصفحة

- الطوفان المقدس: غرب كاذب عاجز، ومقاومة منتصرة / كريمة الروبي.....01
- بين حرب السويس وطوفان الأقصى / بشار شخاترة.....04
- طوفانٌ يعمّ من المحيط إلى الخليج / نسرين عصام الصغّير.....10
- كيف نبني على الطوفان الشعبي العربي المساند لغزة والمقاومة؟ / إبراهيم علوش.....13
- ماذا عن التطبيع بعد طوفان الأقصى؟ / ميادة إبراهيم رزوق.....18
- الاختراق الصهيوني لإفريقيا جنوب الصحراء / إبراهيم حرشاوي.....28
- الصفحة الثقافية: «ناغوغي الصغير» بين التسامح والتطبيع / مريم نصرالله.....31
- قصيدة العدد: معلقة غزة على أسوار القدس / خالد أبو خالد.....35
- رسم العدد: #قاطع.....43

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 90
01 تشرين الثاني 2023

الطوفان المقدس: غرب كاذب عاجز، ومقاومة منتصرة

كريمة الروبي

«إن المقاومة الفلسطينية وُجدت لتبقى. وستبقى.. وستنتصر» جمال عبد الناصر

واهمون كانوا.. وكنا واقعيين.

واهمون من ظنوا أن القضية يمكن أن تنتهي بحلول سلمية، وأن المحتل يمكن أن يمنحك مكتسبات من دون حتى التلويح بالقوة.

واهمون من ظنوا أن تعايشاً سليماً يمكن أن يحدث بين الغاصب والضحية.

واهمون من ظنوا أن القوة العسكرية الغاشمة وحدها هي من تحدد نتائج المعارك، ولم يضعوا في اعتبارهم أن الإيمان بالحق وعدالة القضية هو السلاح الأقوى الذي يصنع المعجزات.

واهمون من ظنوا يوماً أن الشعب العربي قد نسي القضية وأن خططهم على مدار نصف قرن بعد ما عقدوه من اتفاقيات مع أنظمة لا تعبر عن أحلام ومصالح شعبها، قد أتت بثمارها بإنتاج أجيال جديدة لا تهتم بالقضية، فإذا بتلك الأجيال تنتفض في لحظة نصرة لفلسطين ويخرجون بالملايين يهتفون لفلسطين وباستعدادهم للتضحية من أجلها (بالروح

بالدم نفديكِ يا فلسطين) ليس مجرد شعارٍ بل استعداد حقيقي لأجيال أُنفقت المليارات من أجل حرف بوصلتها في اتجاهات تحددها منظمات المجتمع المدني من دفاع عن حقوق الشواذ وقضايا فرعية لتبتعد عن قضايا الأمة الأساسية وأسباب معاناتها الحقيقية، ولكن في لحظة واحدة ضاع كل شيء وباتت فلسطين هي القضية، حتى نسي الشعب العربي معاناته الشخصية من الفقر الذي ينهشه ولم يعد يكترث سوى بفلسطين، ومن دون أن يوجهه أحد أصبحت قضيته المركزية، وهو وعي جمعي فاق كل التوقعات وأفشل كل المخططات، وإن لم يكن لمعركة طوفان الأقصى مكسبٌ سوى هذا المكسب لكفى، إلا أنها ذهبت بالقضية لأبعد مدى حتى بات التحرير قريباً.

واهمون كانوا حين تصوروا أن هذا الكيان الهش قد بات أمراً واقعاً وقدرنا الأبدي وهو الذي يقود المنطقة كلها والكل يطلب وده ورضاه.

لم يكونوا واهمين فقط بل حمقى، وكنا نحن واقعيين حين آمنا بفشل أطروحة حل الدولتين واستحالة التعايش، فكانت قضيتنا هي فلسطين، كل فلسطين من دون التنازل عن شبر واحد منها. وأن الصراع هو صراع وجود وليس صراع حدود (إما نحن أو نحن).

كنا واقعيين حين وضعنا كل ثقتنا في المقاومة التي تواجه حرباً شرسة منذ عقود، المقاومة المحاصرة التي يتآمر عليها الخارج بكل قوته وعملاء الداخل بكل خستهم، آمنا بأن بقاء المقاومة هو انتصار في حد ذاته، وأنه سيأتي اليوم الذي يتجرع فيه العدو الهزيمة الكبرى، فلم تكن تلك المرة الأولى التي نختبر فيها هشاشة الكيان وهزيمته أمام سلاح المقاومة، هذا الكيان المدجج بأحدث الأسلحة لم يصمد من قبل وخرج في جوف الليل هارباً من جنوب لبنان في العام 2000 وتلقى هزيمة أخرى في 2006.

كنا واقعيين حين لم نصدق شعارات الغرب عن الحرية وحقوق الإنسان ومصداقية الإعلام، وها هو الآن يكشف عن وجهه الحقيقي بمنتهى السفور، فيزيف الحقائق ويعطي الضوء الأخضر لإبادة شعب بالكامل تحت سمع وبصر الجميع ويبرر قتل الأطفال ويكذب ويكذب ويكذب، حتى في وجود الكاميرا وكل وسائل الاتصال الحديثة التي أتاحت الحقيقة، ما زال الغرب يكذب ويبرر القتل، عادة الاستعمار تلك وليس ذلك بغريب عليه، ولكن مع ظهور وسائل الاتصال الحديثة، بات كذبه وتضليله مفضوحاً بصورة غير مسبوقة.

كنا واقعيين في نظرتنا للمستعمر ولم ننبهر بادعاءاته حول اهتمامه بالإنسان وحقوقه وحريته،

وكانوا واهمين حين انتظروا منه حل مشاكلنا التي تسبب فيها.

كنا واقعيين حين أدركنا أن الكيان ما هو إلا قاعدة للاستعمار هدفها تفتيت الأمة العربية وحبس تطورها، وأن كل ما نعانيه من فقر وتخلف وتشرذم وضعف هو نتيجة وجوده وقيامه بدوره الوظيفي الذي نشأ من أجله، وكانوا واهمين حين رأوا أن الصراع مجرد صراع (فلسطيني – «إسرائيلي») يمكن حله على طاولة المفاوضات.

كنا واقعيين حين رفعنا شعار «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة»، فآمنا بقوة السلاح وثبت أنه الحل الوحيد.

إن الفرحة التي عمت الوطن العربي يوم تهاوت حصون العدو وظهر ضعفه وقلة حيلته أمام رجال المقاومة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الشعب العربي ما زال حيّاً ولم يستطع العدو بكل ما يمتلكه من إمكانيات مادية وتكنولوجية أن يحرف بوصلته، وقد خاب رهانه على أن الأجيال القادمة ستنسى وتنتهي القضية.

إن المعركة طويلة وعلينا ألا نسمح لمثبطي الهمم أن يستغلوا العدد الكبير من الشهداء في البكاء والنواح واتهام المقاومة بالتسبب في تلك المعاناة، فمنذ متى كان هناك تحريرٌ بلا تضحيات؟ ومنذ متى انتظر العدو سبباً للقتل والتشريد؟ التضحيات كبيرة نعم، ولكن المعركة أيضاً كبيرة وتستحق. التضحيات كبيرة نعم، ولكنها ستصبح أضعافاً لو تركنا العدو من دون تأديب. التضحيات كبيرة ولكن دونها الفناء.

لقد أرادوا لنا أن نلقى مصير سكان القارة الأمريكية الأصليين، الذين سماهم الغرب «الهنود الحمر»، نُباد وتُبنى الإمبراطوريات على جماجمنا، وأردنا نحن البقاء، وسنبقى، وسيرحلون. لن نعود أبداً خطوة للخلف، فما حدث في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول قد أسس لعهد جديد من الانتصارات وبداية معركة تحرير كبرى لن تنتهي سوى بعودة كامل فلسطين من النهر إلى البحر ويتحقق ما قاله الزعيم الراحل جمال عبد الناصر «سنعود إلى القدس وتعود القدس إلينا، ونحارب من أجل ذلك، ولن نلقي السلاح حتى ينصر الله جنده، ويعلي حقه ويعز بيته ويعود السلام الحقيقي إلى مدينة السلام» التي لم تكن مجرد كلمات بل خطة عمل بدأها وناضل من أجلها وتستكملها اليوم المقاومة وستنتصر بإذن الله. النصر قريب فلتكونوا مشاركين فيه لا متفرجين أو مرجفين.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 90
01 تشرين الثاني 2023

بين حرب السويس وطوفان الأقصى

بشار شخاترة

ليس مصادفة أن تكون الأمة العربية الذراع الحاملة لكسر قواعد الهيمنة الاستعمارية تاريخياً، فالتاريخ كسلسلة مترابطة من الأحداث، وإن كانت لا تتكرر بحرفيتها، لكن السمات التاريخية تبقى مطبوعة في الفعل ورد الفعل القومي بما ينتج السردية التاريخية.

ونحن في السياق الراهن للحدث المقاوم الذي تخوضه المقاومة الفلسطينية في عملية طوفان الأقصى، تتجلى السمة العربية فيه برفض الخضوع للاحتلال والهيمنة الإمبريالية بما يعيد إلى الأذهان معركة السويس إبان العدوان الثلاثي على مصر الناصرية عام 1956، فقد كان تأميم قناة السويس حدثاً جللاً ضرب الاستعمار ضربةً موجعةً استدعت منه استقدام أساطيله وبوارجه وخوض الحرب ليقطع الطريق التحرري الذي قرره عبد الناصر ظناً من الاستعمار القديم حينها أنه سيعيد عقارب الساعة إلى الخلف، ولكن حلقة الهيمنة تلك تم كسرها واستعادت مصر قناة السويس، لكن الأهم تجلى بتتويج مصر قائدة عالمية لمسار التحرر العالمي من ربقة الاستعمار، وتلاه انهيارات متتالية للاستعمار البريطاني الفرنسي على الصعيد العالمي ونيل الشعوب المقهورة لحريتها، إذ فتحت تلك المعركة الباب على مصراعيه أمام

التواقين للتحرر وطرد الاستعمار المزمن في كل بقاع العالم وأنتجت حركة عدم الانحياز التي كانت تتويجاً لهذا المسار الذي اختطته مصر بقيادة عبد الناصر.

لكن مشروع عبد الناصر انتهى بوفاته وانقلاب السادات عليه وإخراج مصر من دورها ووزنها إلى عصر اللادور واللاوزن، بما ينبهنا دائماً إلى ضرورة المراكمة والتي تبنى على وجود التنظيم القومي الذي يكمل مسيرة التحرر ويراكم النتائج وصولاً إلى الهدف الأعلى، وهو وحدة الأمة، والتي بغيرها سنبقى كأمة ندفع الأثمان مضاعفةً في كل معاركنا في مواجهة الإمبريالية العالمية بصفتها العدو الأول للأمة العربية ولشعوب العالم جمعاء، ومع ذلك لم ينتهِ مشروع التحرر الوطني والقومي من مخيلة الأمة العربية.

نعم، إن مشروع التحرر العربي ما زال موجوداً ويعبر عن نفسه بحركات المقاومة في لبنان وفلسطين واليمن، فالمشروع لا يموت بموت الشخص الملهم عبد الناصر كمثال، فانكفاء مصر عن دورها جاء من يملأ هذا الفراغ الهائل ويسد الثغرات ما استطاع في حركات المقاومة، فإذا كان فكر عبد الناصر يقوم على قراءة إن العقدة التي تقف في وجه الوحدة العربية تتمثل بالإمبريالية الغربية وقاعدتها المتقدمة في (إسرائيل)، وإنه إن كان لا مجال لطرد الاحتلال وتحرير فلسطين ضمن ذلك الظرف، كمقدمة لمشروع الوحدة، فإنه، أي عبد الناصر، تنبه إلى تجربته الناجحة في تبني الثورة الجزائرية التي أخرجت الاستعمار الفرنسي المزمن من الجزائر – وهو بالمناسبة استعمار لا يقل وحشية عن الاحتلال اليهودي لفلسطين، وان كان التقييم لاستعمار واستيطان فرنسا للجزائر مختلفاً من ناحية الأهمية الاستراتيجية للإمبريالية الغربية. ففي فلسطين تتقاطع القوى الاستعمارية جميعها في أهمية وجود هذا الكيان – فقد عمد عبد الناصر إلى تبني حركة تحرر فلسطينية تمثلت بمنظمة التحرير الفلسطينية استكمالاً واستلهاماً للثورة الجزائرية، وكانت أولى العمليات الفدائية التي انطلقت من غزة في الخمسينيات قد جرت برعايته.

وإنه من باب الإنصاف أن نشير إلى تبني الراحل حافظ الأسد للدور التاريخي الذي يمكن أن تنتجه حركة المقاومة في مواجهة العدو الصهيوني، ومن خلفه الإمبريالية العالمية، وكما عبد الناصر كان حافظ الأسد مدركاً لخريطة القوى الدولية التي كانت تتسيدها الولايات المتحدة والغرب عموماً، فالمواجهة مع هذه القوى مباشرة يعني انتحاراً قومياً، وفرصة تتربصها الولايات المتحدة للإجهاز على المشروع القومي العربي بضرب قواه الحية، لهذا نرى أن سورية تبنت حزب الله وتبنت القوى الفلسطينية المقاوِمة، ومنها حركة حماس ذات التوجه الاسلامي كحزب الله، لكن القراءة الاستراتيجية والفهم لحيثيات المشروع القومي تتجاوز فكرة الاختلاف الإيديولوجي انطلاقاً للهدف الأسمى، وهو وقف تمدد أو إنهاك المشروع الصهيوني في إطار المواجهة الشاملة معه ومع القوى الداعمة له، وليس من نافل القول إن الاستهداف الأمريكي للعراق وليبيا واليمن، ومن قبلها مصر، وصولاً إلى سورية، يؤكد هذا الفهم لحيثيات الاستهداف الإمبريالي للأمة العربية طلباً لرأسها، انما هو استهداف لعالم الجنوب عموماً ويتوقف عليه مصير العالم بالنتيجة.

من هذا التقييم يمكن فهم المعركة المشتعلة حالياً في غزة، فطوفان الأقصى ليست عملية عسكرية ثانوية في خضم الصراع المحتدم مع الغرب وقاعدته اليهودية، إنما هي عمليةٌ فارقةٌ وفصلٌ جديدٌ له ما بعده، فكما كان تحرير جنوب لبنان عام 2000 فصلاً جديداً اندحرت معه القوة الصهيونية إلى الخلف لكنها دائماً تعمل على توظيف هزائمها كما انتصاراتها (التي توقفت في حرب تشرين حيث كانت تلك الحرب نوعاً من استعادة التوازن الاستراتيجي، وإن نتج عنها خروج مصر من حلبة الصراع إلا أن الصراع لم ينتهِ بل انتقل إلى جبهات أخرى وبوسائل مغايرة بالنظر إلى طبيعة المرحلة التي نشأت عن خروج مصر المدوي)، فالعدو أراد استثمار هزيمته في لبنان عام 2000 بإرساء قواعد اشتباك جديدة مستغلاً معاهدات العار التي وقعها مع الأردن ومع منظمة التحرير الفلسطينية، فحاول العدو أن يكتفي بهزيمته تلك وبتثبيت حدود مشروع التحرر خلف حدود التجزئة العربية، حتى جاءت حرب عام 2006 التي كسرت هذا التابو الصهيوني وخلقت قواعد جديدة للاشتباك ضمن مقولة إن التحرر لن ينتهي طالما بقي العدو جاثماً على أرض فلسطين، ومرة أخرى يعاود العدو تثبيت القواعد الجديدة التي أرستها حرب تموز 2006 ليعيد التوازن إلى قواعده المهزوزة ولرعاته ولحلفائه من الرجعية العربية، والسبب في هذا التشبث الصهيوني ينبع من الأزمة البنيوية التي لازمت قيام كيان الاحتلال «الإسرائيلي» والتي تتمثل بافتقاره للعمق، إضافة إلى الأزمة الوجودية

التي يخلقها ضآلة العنصر البشري لديه في حال انفجار الصراع في كل مرة، وهذا مرده لأسباب كثيرة ليس أقلها الفرق الشاسع في الكتلة البشرية لدى العرب مقابل اليهود، والإيمان العربي الراسخ لدى الأمة العربية عموماً وطليعته الفلسطينية بحقنا التاريخي في فلسطين وبحتمية زوال هذا الكيان.

جاء طوفان الأقصى ليلقي صخرة بالغة الضخامة في مستنقع التطبيع العربي الصهيوني وليقلب كل المعادلات القائمة ويثير السؤال الوجودي لدى الكيان الصهيوني ولدى القوى الغربية التي خلقته من العدم، هل ستبقى (إسرائيل كدولة) على الخارطة الدولية؟ وما مصير مشروع الهيمنة الغربي في الوطن العربي؟ فلا شك في أن المنظومة الغربية استشعرت الخطر على مشروعها نتيجة الطوفان الذي انطلق صبيحة السابع من تشرين الأول / أكتوبر، ولهذا حضر هذا الغرب بأساطيله وعتاده إلى (إسرائيل) ليدير المعركة بنفسه، فهذا مشروع الإمبريالية الغربية الذي يشكل عنصر الإجماع الذي لا خلاف عليه بينهم، وهو مشروع تمزيق الأمة العربية وإلحاقها بالغرب كتابع ذليل على المنوال الذي يمارسه مع الأنظمة الرجعية العربية.

هذه المعركة كسرت قواعد الاشتباك التي حبس العدو نفسه خلفها منذ حرب تموز عام 2006، وهو ما تلقفه حزب الله في جنوب لبنان وبصورة تدريجية، يجاهد العدو كل يوم أن يثبت حالة جديدة في تعاطيه مع الضربات التي يتلقاها في جنوب لبنان، هذا ناهيك بفتح الباب لقوى فلسطينية لضرب الكيان من الجنوب اللبناني، الأمر الذي لم يكن يحدث سابقاً.

طوفان الأقصى سويس جديدة بقيادة قوى المقاومة، في عالم يقارع الهيمنة الأمريكية على استحياء لا يخلو من المذلة في أحيان كثيرة، وإن كان هناك من شبه بين الأمس في السويس وبين اليوم في غزة، فإنه من جهة إعادة توجيه البوصلة إلى صوابها في تحديد طبيعة الصراع وأطرافه، فإنه أيضاً يبرز الحقيقة التاريخية الكامنة في أمتنا بنزوعها نحو التحرر وتصديها لهذه المهمة التاريخية ذات الطبيعة العالمية وليس القومية فقط، فهذه الرتابة العالمية التي ثبتتها الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، فارضةً نفسها وقوانينها على العالم، والتي بدأت تتغير شيئاً فشيئاً، إلا أنها لا تقوى أن تتغير إلى ما يوصل الكون بعمومه إلى كسر الهيمنة الإمبريالية على العالم إلا بنقل الصراع من رتابته واستكانته إلى طور تناحري قد لا نرى نتائجه غداً ولكنه نقل وسائل الصراع العالمي مع الإمبريالية الأمريكية إلى مستوى مغاير، نلحظ شيئاً منه في كوريا الشمالية والتي تحاول الولايات المتحدة حصره ضمن قواعد اشتباك رتيبة

تقبل فيه بالواقع من دون أن يتحول التناقض في تلك الجهة من العالم إلى تغيير حقيقي ينهي الوجود الأمريكي هناك، فنحن في معركة طوفان الأقصى أمام قراءة جديدة للصراع وقلبٍ للمفهوم الذي ترك المجال للولايات المتحدة للتفرد، فالولايات المتحدة تواجه المبادرة الروسية بمد اليد لها بنقل المعركة إلى أرض روسيا عبر وكلائها في أوكرانيا، فالذي يظن في هذا العالم أن الولايات المتحدة تقبل بصداقته واهم، فهي لا تقبل إلا بإخضاع الآخرين، من هنا يمكننا القول إن معركة طوفان الأقصى حلقة هامة في مسار الحرب بين الهيمنة والتحرر ضمن السياق العربي ومن ثم العالمي، ما يفتح الباب واسعاً أمام كثير من القوى الدولية للتجرؤ لرفع مستوى المواجهة في كثيرٍ من بؤر الغطرسة الأمريكية.

طوفان الأقصى معادلة جديدة في الصراع تقتضي أن تدار معركتها السياسية بذات البراعة التي نفذت فيها العمليات العسكرية، وبما يرتقي إلى الثمن الغالي الذي دفعه الشهداء والجرحى في هذه الملحمة، وهذا لا يحتاج إلا إلى الصبر والتروي وإدارة العمل السياسي على قاعدة وحدة المعركة بين أقطاب جبهة المقاومة، ونذكر أن عبد الناصر قام بأمرين هامين في معركة السويس: أولاً، إعلان الحرب من بين الجماهير ملتحماً بها من المسجد، وثانياً، البقاء على اتصال وجداني وعملي مع الشارع العربي الذي كان قاعدته الخلفية التي استند إليها لإدارة الحرب ومن ثم تعميق الهزيمة للعدوان الثلاثي لاحقاً بعد انكفائهم وتحويل الخسائر الناتجة عن العدوان إلى نصر سياسي.

المعركة الراهنة في غزة تخط بدماء الشهداء حقائق ظن الصهاينة ومعهم أذيالهم من المطبعين من الحكام العرب أنها أصبحت من الماضي، فأول الساقطين مقولة السلام الفارغة التي استثمرت فيها الأنظمة الرجعية العربية لعقود سابقة وصولاً إلى اتفاقات أبراهام المخزية، وأما الساقط الثاني فكان الجيش الأسطورة الذي أُخِذ بين قتيل وأسير في غضون ساعات قبل أن يستفيق على ما حدث، وهذه رسالة مباشرة إلى كل مطبع عربي من أنظمة الخنوع بأن جيش (إسرائيل) أعجز من أن يحمي نفسه فما بال أنظمة العار! وأما الحقيقة الأهم التي يراها كل عربي اليوم ولطالما آمن بها، فهي أن (إسرائيل) حتماً ستزول، هذه حتمية في طريقها إلى التحقق ولو بعد حين، فأنت رغم قسوة التوحش الصهيوني على غزة لن تعمى عن حقيقة الخوف اليهودي، خوف ليس الذي يشعر به البشر الطبيعيون، إنما خوف ملازم لهذه الملة، الخوف المرتبط بالوجود وليس الخوف من الموت، فهذه الشراذم (التي لملمتها الإمبريالية

البريطانية) بسبب طبيعتها وتكوينها جعلت منها هدفاً طبيعياً لفسادهم وخبثهم وغدرهم، وهنا استحضر مصير بني قريظة، فلطالما تساءلت حول (قسوة) العقاب الذي حاق بهم، فعندما انقشع غبار المعركة وانفضت الأحزاب من حول المدينة وفرغ النبي لبني قريظة وغدرِهم، فطلبوا أن يحكم فيهم سعد بن معاذ لحلف قديم بينهم وبينه ظنوا أنه منجيهم، فكان الحكم بقتل المقاتلين بقطع الرؤوس ورميهم في الخندق، فإذا قارناهم بقريش فإن قريشاً كانت أشد خطراً على الدعوة وعلى النبي فأخرجته وأصحابه واستولت على أموالهم وناصبتهم العداء وضيقت على الدعوة في جزيرة العرب بما لا يقاس بما فعله بنو قريظة، فقد يتبادر إلى الأذهان أن قريش أقرباء النبي وقبيلته، فنقول إنه قاتلهم وقتلهم في مواقع عديدة، ومع هذا عفا عن قريش، ومع هذا فقد قال في حكم سعد بن معاذ لقد حكمت فيهم بحكم السماء، ما أفهمه اليوم أن الجزاء الطبيعي مع هؤلاء المجرمين هو جزاء بني قريظة، لأنهم إن تمكنوا تجبروا وأفسدوا، وإذا استكانوا وذلوا فإنهم لا ذمة لهم، والغدر ونقض العهود صفتهم، لهذا كان الحل الجذري محوهم على بكرة أبيهم، وهذا ما يجب أن يكون.

إلى أهلنا في غزة، مصابنا واحد، وعدونا واحد، إنها ضريبة انتمائنا إلى هذه الأمة العظيمة، نعم عظيمة بتضحياتها، عظيمة بثقل المواجهة التي تخوضها، عظيمة وعلى قدر عظمتها تعاظمت الأمم المتحالفة ضدها في الغرب ومن والاه، وعظيمة دماؤكم كما هي دماء أشقائكم في العراق سبقونا بالملايين ومن قبلنا جميعاً في الجزائر، وما تزال الدماء تسيل بغزارة في سورية وبالأمس في لبنان، هذه حربنا جميعاً لا حربكم وحدكم، والثمن يدفع فيها بالتناوب هنا وهناك، وإن كان الثمن غالياً جداً فمرده إلى أن الجوهرة نفيسة وهي تحرر أمتنا ووحدتها، حتى لو لم يكن يعلم أو يقصد كل من استشهد على هذه الطريق هذه النتيجة بالتحديد فيكفي أن العدو يقصدها ويفهمها ويقاتلنا عليها.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 90
01 تشرين الثاني 2023

طوفانٌ يعمّ من المحيط إلى الخليج

نسرين عصام الصغيّر

ستبقى فلسطين القضية المركزية، فكلما تاهت البوصلة عادت فلسطين لتوجهها نحو مسارها الحقيقي، واليوم بعد طوفان الأقصى هل نتحدث عن حلم بعيد، أم هو أقرب من حبل الوريد؟

كيف لأمة أن تهزم، وشعبها مهما اختلفت عليه الظروف، ومهما تكالبت عليه الأمم، تعيش فيه مثل هذه الروح؟! لا أتحدث هنا عن بطولة الشعب الفلسطيني فقط، وبالأخص أبناء غزة، بل عن شعب عربي واحد مهما تآمر عليه الغرب والشرق يبقى الدم الذي يجري في عروقه من فصيلة واحدة هي فصيلة الدم العربي.

تمر علينا أوقاتٌ نشعر فيها ضعفاً وخيبةً ويأساً، فتأتي فلسطين أرض الأنبياء والرسل لترفعنا إلى السماء. ولا أتحدث هنا عن أصحاب الرسالات السماوية بل عن كل من يخرج ليتصدى لرصاص العدو الصهيوني وصواريخه، فهو رسول على هذه الأرض. وبعدما تأتي فلسطين يعود الأمل والإصرار وتعود الدماء تجري في شرايننا، رغم الجراح ورغم الألم.

لا يمكن لشعب أن يتحرر بـ «المقاومة السلمية»، فالثمن يجب أن يدفع، كما شاهدنا في معاركنا السابقة في الأمة العربية، فعندما قاتلت الجزائر كي تتحرر وقفت فلسطين وكل الأمة العربية معها ودعمتها، لكن الشهداء قدمهم الجزائريون كباقي الأقطار العربية التي حاربت المحتل على مدى تاريخ هذه الأرض،حتى تنال حريتها المجتزأة، لأننا لا يمكن أن نصبح أحراراً

إلا بتحرير هذا الوطن من المحيط إلى الخليج، والتحرير يكون ليس من القواعد الأجنبية والجيوش المحتلة فقط بل ومن الأنظمة المطبعة والعميلة.

بدأ طوفان الأقصى، طوفان 7 تشرين الأول 2023، من غزة وسينتهي من المحيط إلى الخليج. لا أتحدث عما جرى في فلسطين فقط، بل عن اللعنة التي حلت بالصهاينة في كافة أرجاء المعمورة، شعبٌ عربي خرج إلى الشوارع لمدة تزيد عن 24 يوماً، عند كتابة هذه السطور، بدون كلل أو ملل، وتعرض للضرب والتهديد والسجن، ورغم كل هذا نرى أن كل واحد منا يسكنه ثائر فلسطيني يحركه وينطقه ليقول أمة عربية واحدة بدون حدود ولا أنظمة عميلة.

لأول مرة نرى شعوب العالم تتحرك نصرةً وتضامناً مع فلسطين بمثل هذا التحرك الواسع، ويعد هذا غريباً نوعاً ما، فلا يمكن أن نتغافل عن غسيل الأدمغة الذي مر على شعوب العالم لمدة تزيد عن خمسٍ وسبعين سنة، فمنذ وعد بلفور حاول المسيطرون على وسائل الإعلام والسياسون أن يوهموا العالم بأن هذه أرض لشعبين بهويتين مختلفتين، وكان العالم يتعايش مع تلك الأكذوبة، ومع مرور السنين طّبعوهم بأن الكيان الصهيوني «واقع»! والحديث المتداول في كل مكان كان «أرض لدولتين وهويتين وشعبين»، و«إسرائيل واحة الديموقراطية في الشرق الأوسط»، و«ملجأ الناجين من الهولوكوست»، لكن جاء طوفان الأقصى ليجرف تلك الأوهام والأكاذيب بعيداً فرأينا المظاهرات الداعمة والمساندة لفلسطين في كل الأرض، حتى في بريطانيا صاحبة وعد بلفور، وفرنسا شريكة اتفاقية سايكس بيكو، هذه الاتفاقية التي سبقت وعد بلفور ليتمكن الصهاينة من الاستقرار على أرض فلسطين، والأهم كان المظاهرات التي خرجت في الولايات المتحدة الأمريكية الراعي الرسمي للكيان الصهيوني.

بهدوء، وبدون عواطف، لننظر إلى القضية بمنظور عقلاني: الأنظمة «العربية» صاحبة اتفاقيات السلام، ما هو موقفها من طوفان الأقصى؟ هل دعمته؟ هل تضامنت معه؟ وأقول تضامنت، لا دعمت أو ساندت، لأن فلسطين ليست قضيتها، طبعاً الإجابة لا، لأنها لو كانت تفكر في فلسطين أو دعم المقاومة الفلسطينية لما أبرمت الاتفاقيات مع العدو الصهيوني أصلاً رغم رفض الجماهير العربية لها، فبعد مرور عقود على توقيعها نسمع المتظاهرين في مصر والأردن في أول هتاف يخرج علينا «لا سفارة ولا سفير»، و«تسقط وادي عربة»، و«أول مطلب للجماهير غلق سفارة وطرد سفير»، فكيف يمكن لهذا المتظاهر أن يرضى بتلك الاتفاقيات؟

تلك الأنظمة المصطنعة التي جاءت مع سايكس بيكو وبلفور، هل ستبقى بعد زوال هذا الكيان؟ هنا مربط الفرس، ونحن لا نطلب منهم «لا سمح الله» بل يعرفون أنهم سيرحلون مع العدو الصهيوني إذا رحل، وهم الآن يتحسسون رؤوسهم ومصيرهم في حال انتصرت هذه المقاومة، ويفكرون بما سيحل بهم؟ وسأترك الجواب لأبناء هذه الأمة.

قرأنا وسمعنا عبر التاريخ أن الحركة الصهيونية تم تخييرها بين أكثر من أرض في هذا العالم، لكن هرتزل مؤسس الصهيونية اختار أرض فلسطين. نرى الجموع تحج إلى قبره في فلسطين تحت الاحتلال، وكلما جاء زائر رسمي كأردوغان أو سائح للكيان الصهيوني يزور قبر هرتزل بصفته «معلماً» أثرياً، ويضع أكاليل الورد عليه. لكن اقتربت اللحظة وحل الموعد، حتى يذهب كل الصهاينة كالحج الأكبر ليبصقوا على قبر هرتزل قبل مغادرة فلسطين لأنه اختارها لهم أرضاً، إذ ماذا لو اختار أرضاً ثانية، هل كانوا سيتجرعون مرارة الطرد منها هكذا؟ لا طبعاً، إذ ربما عاشوا بسلام ووئام لم ولن يروه طالما هم على أرضنا، ولن يستقروا ولن يهنأ لهم عيش وسيبقى المقاومون ظلهم كعزرائيل قبل الموت.

في النهاية، يقول البعض أن كل شيء سيعود كما كان قبل طوفان الأقصى، وأنا أختلف مع هؤلاء، فالصفعة التي تلقاها الكيان الصهيوني لم يتلقَ مثلها في تاريخه، ولن تعود هيبته التي مرغها ومزقها أبناء مقاومتنا كما كانت مهما حاول ترميم صورته وهيبته بالقتل والمجازر والأساطيل الغربية، فهو كيان من ورق وأوهن من بيت العنكبوت، وطبعاً لن يعود الوضع في غزة كما كان، يمكن إعادة إعمار غزة ويمكن إعادة الحياة لطبيعتها، لكن لا يمكن إعادة أي شهيد كتب له أن ينال أعظم منزلة في الدنيا والآخرة، ولا يمكن أن نمنع أماً كلما وضعت رأسها على الوسادة أن تتذكر شهيدها أو شهداءها، لأن ثمة أمهات فقدن اثنين أو ثلاثة من أولادهن أو كلهم.

نرى أن الحلم اقترب من التحقق، فالتحرير والوحدة والنهضة نراها في وجه شبابنا وشهدائنا وفي كل حجر يسقط في غزة اليوم، فالطوفان سيبتلع العدو الصهيوني وكل عميل ومأجور ومطبع.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 90
01 تشرين الثاني 2023

كيف نبني على الطوفان الشعبي العربي المساند لغزة والمقاومة؟

إبراهيم علوش

كشفت تداعيات عملية طوفان الأقصى المجيدة، مجدداً، عن سمتين أساسيتين تحكمان المشهد العربي:

أ – أن الشعب العربي تسكنه روحٌ ومشاعرُ واحدة من اليمن إلى المغرب إلى المهاجر، وأن فلسطين تملك شغاف قلبه وتوحده شارعاً ومشاعر، وأن دوس رؤوس الصهاينة يستفز حميته ويستنفره إلى الساحات، وأن «الربيع العربي» ربما غيّب صواب بعضه ردحاً من الزمن، لكنه يعيش الآن لحظة يقظة سياسية حقيقية اتخذت طابعاً عروبياً مقاوِماً، لأن الشعب العربي، أولاً، تفاعل فيها مع غزة المقاتل المنتصر، لا مع غزة الطفل المذبوح فحسب، كما لم يتفاعل مثله، ولأن عنوانها الرئيس، ثانياً، هو العودة المليونية إلى سكة التناقض الرئيس مع الإمبريالية والصهيونية وأذنابهما على قاعدة: الشعب يريد تحرير فلسطين.

ب – أن المنظومة الرسمية العربية، بصفتها منظومة تجزئة قُطرية افتُعلت استعمارياً كي تحتجز تطور الأمة العربية وطاقاتها، برزت مجدداً، في معركة طوفان الأقصى والعدوان على غزة، عبئاً ثقيلاً على كاهل الشعب العربي الذي يتحرق شوقاً لمنازلة العدو الصهيوني وداعميه في الميادين، مظهرةً كل عجزها وتأزمها وتواطئها في مسألة الأمن القومي العربي كما أظهرتها مراراً من قبلُ، وكما أظهرتها في مسألة التنمية الاقتصادية والأزمات المعيشية التي

يتقلب المواطن العربي بين مواجعها، وكما ستظهرها مجدداً ومجدداً من بعدُ، لأنها منظومة تجزئة تفكِكُ الطاقات والموارد العربية حين تتطلب التحديات التاريخية حشد تلك الموارد والطاقات في مشروعٍ قومٍي واحد.

تقف هاتان السمتان الجوهريتان في المشهد العربي اليوم، وأمس وغداً، على طرفي نقيض لطالما هدد بالاشتعال منذ احتلت فلسطين، لا بل منذ وضعت اتفاقية سايكس-بيكو (وما يعادلها) وعاءً لوعد بلفور قبل أكثر من مئة عام. وما كان من الممكن للكيان الصهيوني أن يقوم ويستمر لولا منظومة التجزئة القُطرية، وما كان لمنظومة التجزئة القطرية أن تستمر لولا وجود الكيان الصهيوني، لأن من عمل على تأسيسه، منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، إنما عمل على ذلك لمنع نشوء دولة عربية واحدة، أي لمنع قيام وحدة عربية تجبُّ منظومة التجزئة القُطرية بالتعريف.

لهذا نقول إن قضية فلسطين هي قضية الأمة العربية أساساً، قبل أن تكون أي شيءٍ آخرَ، فهي ذاتها قضية الوحدة العربية واحتجاز النهوض العربي بمنظومة التجزئة التي تخلق أفضل الشروط لبقاء العرب ضعفاء ومشتتين، أي لبقاء الاحتلال والتبعية، أولاً، والتأخر اقتصادياً وعلمياً وتكنولوجياً إلخ...، ثانياً.

وإن الشعب العربي يتلمس بحسه العفوي تلك الصلة العضوية بين احتلال فلسطين من جهة، وبين شروط وجوده الرثة من جهةٍ أخرى، مقارنةً ببقية الأمم، ومقارنةً بما يمكن ويجب أن نكون، لذلك فإنه يشعر بأن تحرير فلسطين يعني تحرير الوطن العربي، أي تحريره هو من الضعف، ومن التجزئة التي تسببه، ومن الاحتلالات والتبعية لقوى الهيمنة الخارجية التي تعيد إنتاجه وتؤبده.

لكنّ ذلك الحس العفوي الذي يدفع ملايين المواطنين العرب إلى الشوارع من أجل فلسطين، منذ احتلالها عام 1948، على الرغم من كل ما يمثله شعبياً من إعلانِ وجود وتثبيتِ موقف وتشجيعٍ للمقاومين، ومن ضغطٍ على منظومة التجزئة القُطرية، ومن رفعٍ لسقف الخطاب السياسي العربي، ومن اعتراضٍ إجباريٍ لمسارات التطبيع والمطبعين ودعاة التسوية مع العدو الصهيوني، يبقى قاصراً عن تحويل تلك الطاقة الشعبية الجبارة إلى عمل ملموس قابلٍ للاستمرار وقادرٍ على مراكمة الإنجازات، لأن الطاقة التي لا تجد قنواتٍ توجهها نحو المصب الذي يجتذبها، الهدف الاستراتيجي، فلسطين، والذي أطلقتها جاذبيته أصلاً، يمكن أن تتسرب

وتتبدد مؤقتاً، حتى تعود إلى التراكم ويطلقها صاعقٌ آخرُ كطوفان الأقصى.

ثمة حلقة مفقودة إذاً يمكن أن تحول الطاقة الشعبية العربية إلى دعمٍ ملموس لنقاط الصدام العربية مع الاحتلالات وقوى الهيمنة الخارجية، وليس العدوان الأخير على غزة المثال الأول في تاريخنا العربي المعاصر على غياب تلك الحلقة.

إن المطلوب الآن، في أوار الحرب، هو إيصال الدعم إلى المقاومين، بالسلاح، بالمال، بالمتطوعين، بالمؤن، بفتح جبهات أخرى، ثم بالموقف السياسي والدعم الإعلامي. ولنكن واضحين: إذا كان دعم الغرب للاحتلال «قانونياً»، بموجب القانون الدولي أو غيره، ودعمنا كشعب عربي للمقاومين «غير قانوني»، بموجب «القانون الدولي» أو قوانين منظومة التجزئة القُطرية المهترئة، فإن مثل تلك «القوانين» تتعارض مع مصلحة الأمة العربية، ويجب التعاطي معها معنوياً كحذاءٍ مهترئ، أي يجب إسقاط «هالتها» و«مشروعيتها» سياسياً، ومن ثم يجب العمل على انتهاكها بكل وسيلة ممكنة، بطرق مبدعة أو مواربة أو مباشرة، بحسب ما يسمح به ميزان القوى.

لا شك في أن الدعم السياسي والشعبي والإعلامي للمقاومة مهمٌ جداً، ولا أقلل من أهميته، خصوصاً عندما ينخرط فيه الملايين، ولا أزايد على من يحملون عبئه الذي أسعى إلى مشاركتهم فيه ما استطعت، لكنّ المطلوب موضوعياً الآن على مستوى قومي أكبر من ذلك، لأن ثمة قوى وإمكانيات شعبية عربية كبيرة يمكن ويجب توجيهها نحو دعم المقاومة، وتلك بوصلة

للعمل لا يجوز أن ننساها ونحن نعبر عن رأينا ونتظاهر ونضغط من الشارع.

مرة أخرى، إن إبداء الرأي دعماً للمقاومة أفضل من الصمت، والتظاهر أفضل من القعود، لكن محاولة اقتحام سفارة للعدو في بلد عربي أفضل، والأفضل من ذلك كله العمل المباشر ضد العدو الصهيوني، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والجهاد مراتب، وكذلك أجوره.

إن مهمات الحراك الشعبي العربي في هذه اللحظة لا يجوز أن تتوقف عند التعبير عن المشاعر، دعماً للمقاومة أو سخطاً على المجازر التي يرتكبها الاحتلال، بل يجب أن تتجه نحو تحقيق الأهداف التالية:

أ – مناجزة التطبيع والمطبعين وإغلاق سفارات الاحتلال في وطننا العربي وإيقاف كل أشكال العلاقات معه.

ب – اجتراح وسائل لإيصال الدعم للمقاومة والمقاومين، ولانتهاك الحصارات المفروضة صهيونياً وغربياً على بعض الأقطار العربية.

ج – الدفاع عن قيم المقاومة وثقافتها ورموزها في وجه المشككين ومثيري الإحباط والساعين إلى تخفيض سقف الحراك الشعبي سياسياً بدواعي «الحكمة» و«العقلانية» وما شابه.

الأهم من ذلك كله هو بناء شبكات غير مركزية عابرة لحدود التجزئة القُطرية مهمتها تحقيق الأهداف أعلاه، وأن تسعى تلك الشبكات إلى التحول إلى قوة أو رافعة أو بنى للدفاع عن المصالح والقضايا العربية العليا، لأن منظومة التجزئة القُطرية إما عاجزة أو متواطئة أو مشلولة، لذلك تؤول مهمة الدفاع عن المصالح والقضايا العربية إلى الشعب العربي، فإما أن ينهض إلى مستوى التحدي التاريخي أو يتعرض وجودنا ذاته كأمة إلى خطر الاندثار.

إن تفكيك حركة القوميين العرب كان من أكبر الأخطاء التاريخية في مسيرة حركة التحرر العربية، وكذلك الصراع بين البعث والناصرية، أو بين البعثين، ويعود ذلك كله إلى آثار منظومة التجزئة القُطرية في حركة الوحدة العربية ذاتها، وفي وعي فصائلها الذي انتهى قُطرياً.

فإذا كانت الأنظمة أسيرة منظومة التجزئة القُطرية وقوانينها وتوازناتها، فإن من واجب الحراك الشعبي العربي اليوم أن يتجاوز تلك المنظومة من خلال التشبيك العابر للأقطار، أي بممارسة العمل السياسي الذي ينتهك حدود التجزئة القُطرية يومياً.

وعلى ذلك يتوقف تأسيس تيار شعبي عابر للأقطار وحدودها من أجل تشكيل خط دفاع قومي عربي لمواجهة المخاطر والتهديدات المحيقة بوجود الأمة العربية اليوم: خطر التفكيك، بالوعي القومي والعمل السياسي العابر للأقطار؛ خطر الهيمنة والاحتلال، بالمقاومة الشاملة، أي بمستوياتها كافةً؛ خطر الاختراق التطبيعي، بمناهضة التطبيع على مستوى شعبي عربي من منظور عروبة أرض فلسطين كاملة.

إن الحلقة المفقودة إذاً من أجل تحويل الزخم الشعبي العربي المناصر للمقاومة إلى دعم ملموس لها هي عدم وجود حركة شعبية عربية منظمة يمكن أن توجه الموارد عبر الوطن العربي إلى حيث تخوض الأمة العربية معركةً كبرى، وإن ذلك هو المقدمة الضرورية لبناء مشروع قومي، لأن المشروع القومي هو بناء قوة أو رافعة أو أطر تعبئ القوى لتحقيق الأهداف القومية الكبرى، مثل التحرير والوحدة والنهضة، لكن مثل تلك القوة لا تأتي من العدم، بل تتبلور في معمعان الصراع، ومهمتها الراهنة الآن هي العمل على تأسيس حركة شعبية عربية منظمة، غير مركزية، يمكن أن تتحول إلى تيار عارم يتألف من كل من ينخرط فيها من أفراد مستقلين وجمعيات وأحزاب ونقابات.

أما ما نحتاجه الآن فهو جبهة شعبية عربية مساندة للمقاومة تتجاوز مهمتها إصدار البيانات والتصريحات، وإذا بدا مثل هذا الطرح غريباً بالنسبة إلى البعض، فاعلموا أنه ليس إلا ترجمة لأحد بنود الميثاق القومي لعام 1964، والميثاق الوطني الفلسطيني غير المعدل لعام 1968، والذي ينص في المادة 15 على ما يلي:

«تحرير فلسطين واجب قومي، تقع مسؤولياته كاملة على الأمة العربية شعوباً وحكوماتٍ، ومن أجل ذلك فإن على الأمة العربية أن تعبئ جميع طاقاتها العسكرية والبشرية والمادية والروحية للمساهمة مساهمة فعالة مع الشعب الفلسطيني في تحرير فلسطين».

وما دامت الحكومات غير معنية أو غير قادرة، فإن تلك المسؤولية تؤول إلى الشعب العربي، وهو شعبٌ عربيٌ واحدٌ، لا «شعوب عربية»، لأننا أمةً عربية واحدة.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 90
01 تشرين الثاني 2023

ماذا عن التطبيع بعد طوفان الأقصى؟

ميادة إبراهيم رزوق

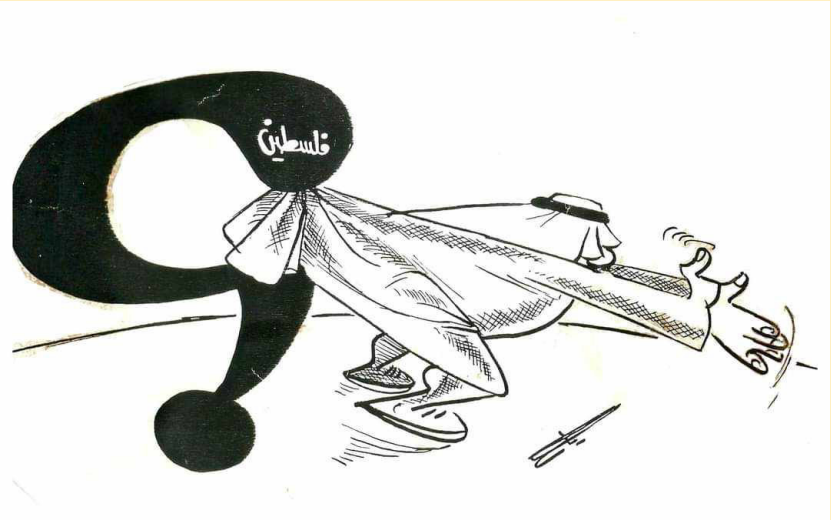

يعني «التطبيع» إقامة علاقات طبيعية مع كيان الاحتلال الصهيوني ومؤسساته وأجهزته و(مواطنيه)، ومن ذلك المشاركة في الأنشطة والمبادرات التي تجمع العرب مع كيان العدو الصهيونيّ، مؤسساتٍ كانوا أم أفراداً. وهناك عدة أنواع للتطبيع العلني أو السري، أهمها التطبيع (السياسي، والاقتصادي، والأمني، والثقافي، والإعلامي). ومن أهم أشكال التطبيع الأنشطة التي تهدف إلى التعاون العلمي أو المهني أو الفني أو الرياضي أو الاجتماعي (النسوي أو الشبابي)، بما يعمل على إزالة الحواجز النفسية بين الطرفين بغرض التقارب، وبالتالي تجاهل حالة العداء والحرب القائمة بين الشعب العربي والاحتلال الصهيوني، والاعتراف بمشروعية كيان الاحتلال الصهيونيّ على حساب الأرض والشعب الفلسطيني، وتجاوز حقيقة أن الشعب الفلسطيني شعب محتل من قبل كيان الاحتلال الصهيوني.

مر التطبيع بعدة مراحل بدأ أولها بزيارة الرئيس أنور السادات القدس المحتلة لمخاطبة الكنيست عام 1977، ثم توقيعه اتفاق كامب ديفيد عام 1978، ثم «معاهدة السلام» بين مصر وكيان الاحتلال الصهيونيّ عام 1979. وتخلل ذلك مفاوضات كثيفة نتج عنها توقيع المعاهدة التي تلخصت بما جاء في المادة الثالثة منها، والتي نصت على ما يلي: «يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي ستقام بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات

الطابع التمييزي المفروضة ضد انتقال الأفراد والسلع».

تلا ذلك الخطوة الأخطر من قبل منظمة التحرير الفلسطينية التي توجت بتوقيع اتفاق «أوسلو» عام 1993، والذي نص على أن يعترف كيان الاحتلال الصهيوني بمنظمة التحرير كممثل شرعي للشعب الفلسطيني، مقابل اعتراف منظمة التحرير بكيان الاحتلال الصهيوني على 78% من الأراضي الفلسطينية، علماً أن هذه الاتفاقية لاقت رفضاً كبيراً في الشارع الفلسطيني والعربي حتى هذه اللحظة.

توالت بعد ذلك الاتفاقيات والمعاهدات، وتشعبت العلاقات بين كيان الاحتلال الصهيوني والدول العربية (وغير العربية التي كانت تقاطع العدو الصهيوني دعماً للقضية الفلسطينية)، وكان من أبرزها معاهدة السلام أو ما يعرف باتفاق «وادي عربة» بين الأردن وكيان العدو الصهيونيّ عام 1994، والتي تضمنت اعتراف كلا الطرفين بسيادة الأخر، وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين الطرفين، وتوزيع مياه نهر الأردن وأحواض وادي عربة الجوفية بين الأردن وكيان الاحتلال الصهيونيّ، بالإضافة إلى حرية تنقل الأفراد والسلع بينهما.

كانت تلك الاتفاقيات بداية العلاقات المباشرة (الرسمية العلنية) بين العرب وكيان الاحتلال الصهيونيّ، وتشير دراسة نشرت في مجلة «شؤون فلسطينية» أنه في عام 2006 كان لدى كيان الاحتلال علاقات تجارية مع 11 دولة عربية، وأن مجمل صادرات كيان الاحتلال إلى تلك الدول العربية بلغ 410 مليون دولار وارتفع خلال السنوات اللاحقة.

نتيجة لذلك، وعلى مدار العقدين السابقين فتحت العديد من المكاتب التمثيلية والتجارية بين عدد من الدول العربية وكيان الاحتلال، ولو بشكل غير علني وبأسماء وهمية، وجميع هذه العلاقات كان الرابح فيها كيان الاحتلال فقط، فقد حقق هدفين في آن واحد من تطبيع علاقاته مع الدول العربية:

1- ترسيخ وجوده وتأثيره في المنطقة العربية، وزعزعة التمسك بالثوابت العربية والإسلامية، وبالتالي التخلي عن القضية الفلسطينية، قضية التحرر من الاحتلال الصهيونيّ.

2- الأرباح التي حققها كيان الاحتلال الصهيوني نتيجة العلاقات التجارية مع الدول العربية، فقد بلغت على سبيل المثال قيمة الصادرات الصناعية لكيان الاحتلال إلى الدول العربية عام 2008 أرقاماً لافتة للنظر. وبعد مصر والأردن، جاءت الإمارات في المرتبة الثالثة، حيث بلغ حجم الصادرات الصناعية لكيان الاحتلال للإمارات 25,5 مليون دولار، يليها المغرب بـ 17,2 مليون دولار، ولم تتضمن هذه الأرقام صادرات كيان الاحتلال من المجوهرات والمصوغات الذهبية، والتي بلغت ما صدر منها لسوق دبي

فقط 200 مليون دولار، ناهيك من صفقات الأسلحة التي لا يعلن عنها في الغالب.

وبعد الفشل في ترويض الجماهير العربية على فكرة التطبيع، وبالتعاون بين كيان الاحتلال الصهيوني وبعض الأنظمة الرجعية، ومن خلال بعض النشاطات الفكرية والثقافية للترويج لفكرة التطبيع ومقبولية وجود كيان الاحتلال الصهيوني كجزء من نسيج المنطقة بهدف تصفية القضية الفلسطينية، تبلورت نسخة جديدة من اتفاقيات التطبيع (اتفاقيات أبراهام)، أو اتفاقيات السلام مقابل السلام، في عام 2020، بين كيان الاحتلال الصهيوني وكل من البحرين والإمارات والسودان والمغرب.

رؤية شمعون بيريز للتطبيع كاستراتيجية هيمنة

ولمناقشة مراحل التطبيع ومآلاته بأشكاله ونسخه المختلفة لا بد من العودة إلى البدايات. وبقراءة متأنية لاستراتيجية أمن وبناء مشروع كيان الاحتلال الصهيونيّ، كان حلم ديفيد بن غوريون مؤسس كيان الاحتلال رؤية (إسرائيل الكبرى) التي تمتد حدودها حيث يصل حذاء الجندي «الإسرائيلي» الأخير، أما شمعون بيريز فقد أدرك استحالة تحقق (إسرائيل الكبرى) فبحث عن نظرية وجودية أخرى تتحدث عن (إسرائيل العظمى) ليس بحدودها الجغرافية، بل بحدودها الأمنية التي تصل إلى مياه الخليج وبحر العرب وباب المندب، وحدود اقتصادية تتحقق وفق مشروع «الشرق الأوسط الجديد» الذي تحدث عنه في كتاب يحمل ذات العنوان، صدر عام 1993.

يحمل الكتاب بين ضفتيه أفكاراً ومقترحاتٍ وخطةَ عمل يتم تطبيقها على مراحل وفق تحليل واقعي مفاده أن الاستراتيجية التقليدية والقائمة على «الوقت والكم والفراغ» سقط مضمونها مع التطور التكنولوجي وتطور الصواريخ الباليستية، الأمر الذي أبطل عامل الوقت بسبب سرعة الصواريخ، وتجاوزها لمسافات شاسعة في وقت قياسي، وكذلك عامل الفراغ، حيث أبطلت الصواريخ جدوى الموانع الطبيعية، والكم، حيث تستطيع الصواريخ تجاوز الأسلحة والعتاد المتراكم، وبالتالي سقطت نظريات العمق الاستراتيجي، ليكون الاقتصاد أو المصلحة هو العقيدة البديلة، حيث تذوب وتتلاشى كل العقائد المتعلقة بالصراع سواء كانت قومية أو دينية بفعل المصالح الاقتصادية والرخاء والقضاء على الفقر، والذي لن يتحقق سوى بالسلام، فرسم في الكتاب نظاماً إقليمياً جديداً، وبخطط اقتصادية ضخمة، مع التأكيد على فشل الحرب وأهمية السلام، السلام الذي لا يخفي استراتيجية كيان الاحتلال التوسعية، والتي تقوم على ضرورة استمرار هيمنته على المنطقة مع اختلاف الوسيلة، مؤكداً أن الحروب التي خاضها كيان الاحتلال الصهيوني لم تستطع أن تضمن له الأمن والنصر النهائي، وهذا ما أثبتته حرب الأيام الستة عام 1967، التي

تلتها قمة الخرطوم، قمة اللاءات الثلاثة، لا للاعتراف، لا للصلح، لا للتفاوض، وبعدها بأيام قليلة أطلق الزعيم جمال عبد الناصر شعار «ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة».

لتتدحرج الأحداث إلى عام 1973 حرب تشرين التحريرية، الذي أنهى عهد السكينة لكيان الاحتلال الصهيوني، وفجر ثقته المنفوخة بالنفس، وعرضه إلى خسائر فادحة، فلم تعد الحرب عديمة الغاية فقط، بل إن الرغبة في حكم أمة أخرى والسيطرة عليها لم تعد ممكنة، وترسخت هذه القناعة مع الحرب على لبنان عام 1982. لذلك، ووفقاً لهذا الكتاب، تحدث شمعون بيريز عن نظام إقليمي «شرق أوسطي» على غرار الاتحاد الأوروبي، وبالتالي الانتقال بـ«الشرق الأوسط» من اقتصاد صراع إلى اقتصاد سلام بتطوير بنية تحتية تلائم العصر الجديد من السلام ببناء الطرق وتمديد خطوط السكك الحديدية، وتحديد المسارات الجوية وربط شبكات النقل وتحديث وسائل الاتصالات، وتوفير النفط والماء في كل مكان، وإنتاج البضائع والخدمات عن طريق الكمبيوتر، بما يفتح حياة جديدة فيه، لتأتي «صفقة القرن»، و(اتفاقيات أبراهام)، ورؤية محمد بن سلمان 2030 (مشروع نيوم)، وما سبق ذلك مما سمي ثورات (الربيع العربي)، وفيما بعد تفجير ميناء بيروت، والممر الهندي الأوروبي، في صلب هذا المشروع، وتنفيذاً لتفاصيله.

رؤية بنيامين نتنياهو للتطبيع: «السلام مقابل السلام» وتصفية القضية الفلسطينية

في ذات الاستراتيجية، واستكمالاً لمشروع بيريز، تحدث بنيامين نتنياهو في كتابه «مكان تحت الشمس»، والذي صدر عام 1993، عن كيفية الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني، مع الانتقاد الشديد لمبدأ التفاوض مع الفلسطينيين والعرب عموماً الذي كان قائماً على مبدأ «الأرض مقابل السلام» ليستبدله بمبدأ «السلام مقابل السلام» الذي اعتمده ضمن رؤيته الشاملة، والذي تم ترجمته فعلياً بعدم قابلية التفاوض على الجولان السوري المحتل باعتباره يشكل العمق الاستراتيجي لكيان الاحتلال الصهيوني، ووضع كامل مدينة القدس تحت سيادة كيان الاحتلال الصهيوني، وإعلان نيته ضم غور الأردن والضفة الغربية، إضافةً إلى ضمان استمرار التفوق العسكري والتكنولوجي لكيان الاحتلال الصهيوني في المنطقة، واستكمالاً للواقع المستقبلي الذي يسمح لكيان الاحتلال بأن يأخذ مكاناً بارزاً تحت شمس المنطقة، أكدّ نتنياهو في أكثر من مكان من كتابه على أهمية التطبيع مع الدول العربية، وتحديداً الدول النفطية.

عزز نتنياهو رؤيته تلك في كتابٍ آخر بعنوان «الأيديولوجيا والسياسات» عام 1996، فكان هذا الكتاب بمثابة برنامج سياسي لحزب الليكود الذي أجمع عليه كيان العدو الصهيونيّ، والصهيونية العالمية، والذي يتضمن وجوب استسلام القيادات الفلسطينية

والعربية للمخططات الصهيونية، والموافقة على ضم القدس والأغوار وتوطين اللاجئين خارج فلسطين، وإقامة الحكم الذاتي من خلال الوطن البديل في الأردن، وتصفية القضية الفلسطينية، وإنهاء الصراع، وشطب حق عودة اللاجئين إلى ديارهم، والاعتراف بيهودية الدولة، وترحيل فلسطيني الداخل إلى دولتهم الفلسطينية في الأردن، وإقامة (إسرائيل العظمى) الاقتصادية من خلال مشروع «الشرق الأوسط الجديد» والتحالف الأمني مع الأنظمة الرجعية العربية خصوصاً في السعودية والأردن والإمارات لمواجهة قوى محور المقاومة والحكومات الوطنية في المنطقة العربية والإسلامية وبقية بلدان العالم، وفي تفاصيل الكتاب نقرأ وقائع ترمي إلى تخليد وجود الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي والبلدان الإسلامية كأكبر كانتون يهودي معادٍ لشعوب المنطقة ظهر في التاريخ البشري، وبضرورة إنهاء الصراع العربي-الصهيوني، ولكن ليس، بالحل السياسي للقضية الفلسطينية، بل بتصفيتها.

نجح زعيم الليكود ومجرم الحرب مناحيم بيغن وبعد طرح الحكم الذاتي الفلسطيني عام 1977، بتكريسه وتكريس الاعتراف الفلسطيني خاصةً والعربي عامةً بكيان الاحتلال الصهيوني (ما يسمى «دولة إسرائيل») بتوقيع اتفاقيات أوسلو ووادي عربة مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الأردني عامي [1993 و 1994] كما أسلفنا أعلاه، فكانت بداية تنازلات قيادة منظمة التحرير الفلسطينية عن الوطن والقضية وحق عودة اللاجئين إلى ديارهم.

استمرت ذات الاستراتيجية والمخططات الصهيونية، في حقبة رئاسة الحكومة من طرف حزب العمل الصهيوني، بالاحتلال والاستعمار الاستيطاني، وبالتأكيد على أن القدس بشطريها المحتلين (عاصمة إسرائيل) الموحدة والأبدية، وبسيطرتها على الأرض والمياه والمعابر والحدود والأجواء وإقامة أكبر معسكر اعتقال في تاريخ البشرية، ومنح السلطة الفلسطينية صلاحية الحكم الذاتي الإداري المحدود، ومهمات قمع النضال الفلسطيني، ومحاربة المقاومة وترسيخ التعاون الأمني بين حكومة الاحتلال وأجهزة السلطة للحفاظ على أمن كيان الاحتلال الصهيوني ومستوطنيه، وركز حزب العمل أيضاً على مصادرة الأراضي الفلسطينية وتهويد فلسطين وإلغاء وجهها الحضاري العربي والإسلامي واستبداله بالهوية اليهودية و«الشرق أوسطية».

سقوف تزداد انخفاضاً للعلاقة التطبيع مع العدو الصهيوني

كما تمكن بنيامين نتيناهو من خلال رئاسته لحكومات كيان الاحتلال الخمس الماضية من تحقيق جزء غير قليل من رؤاه التي شرحها في كتابيه، ابتداء من تطبيق مبدأ «السلام مقابل السلام» من خلال (اتفاقيات أبراهام) ونجاحه باختراق منظومة دول الخليج إضافةً

إلى المغرب، وتوقيع اتفاقيات التطبيع مع أنظمتها السياسية، ونجاحه كذلك بإعلان دولته باعتبارها دولة قومية يهودية، وتكثيف الاستيطان، وانتزاع اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية باعتبار القدس عاصمة موحدة لـ (إسرائيل)، والتعامل مع الجولان المحتل باعتباره جزءاً لا ينفصل عن الكيان الصهيونيّ، فاستطاع أن يحطم اتفاقيتي أوسلو بتطويق القدس بالمستوطنات وتكثيف الاستيطان بشكل جنوني، حتى لم يعد بالإمكان الحديث عن تقسيم القدس أو «حل الدولتين»، وحاول بكل قوة السيطرة على سلوان وتفريغها من سكانها، وكذلك العمل على تفريغ عشرات ألوف الفلسطينيين من القدس الشرقية بالضغوط والتضييق وهدم البيوت ومصادرة الأراضي، ومنع أي فلسطيني جديد من دخولها.

وفي حكومته السادسة اليمنية المتطرفة والأكثر تشدداً في تاريخ كيان الاحتلال الصهيوني (اتفاق نتيناهو – بن غفير- سموتريتش) أمعن نتيناهو بتنفيذ رؤاه في كتابي «مكان تحت الشمس» و«الأيديولوجيا والسياسات» بخطى متسارعة، فسلم رئيس حزب العظمة اليهودية إيتمار بن غفير حقيبة الأمن القومي والتي تتضمن حقيبة الأمن الداخلي سابقاً مع صلاحيات أمنية موسعة، إضافةً إلى مواقع اقتصادية وأمنية أخرى حساسة تشمل ملف الاستيطان في الضفة الغربية، وصلاحيات شبه مطلقة على الأجهزة الأمنية ذات الاحتكاك بالفلسطينيين مثل قوات (حرس الحدود) التابعة لشرطة الاحتلال، والتي عمل من خلالها على تطبيق خططه، ومنها تغيير أوامر إطلاق النار على الفلسطينيين، لتغيير الوقائع في الضفة الغربية من خلال الترخيص لبناء مستوطنات جديدة، ومنح الترخيص للمستوطنات القائمة، وترحيل جزء من الفلسطينيين، وتطبيق عقوبة الإعدام على من يسميهم (المخربين)، وبالتالي واجه الفلسطينيون تحديات وجودية حقيقية كبيرة في ظل الواقع السياسي الجديد في كيان الاحتلال الصهيوني.

شكل هذا فرصة لتوحيد الساحات المقاومة ضد الاحتلال، وإلغاء مصوغات الجدل حول موضوع التسوية وحل الدولتين، وهذا ما أكدته مجزرة جنين في 19 يونيو/حزيران 2023 عندما توغَّلت قواتٌ من جيش كيان الاحتلال الصهيوني في مدينة جنين شمال الضفة الغربية، والتي كانت بمثابة عملية استعراض للقوة واستخدام القوة المفرطة والممارسة الإجرامية للقوة، فكان الرد الفلسطيني السريع والقوي بتسارع عمليات المقاومة الجهادية والاستشهادية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر عمليتي القدس في مستوطنة النبي يعقوب التي نفذها الشهيد خيري علقم ابن الـ21 ربيعاً، وفي حي سلوان التي نفذها الشهيد محمد عليوات ابن الـ 13 ربيعاً، اللتين حملتا أكبر صفعة لحكومة كيان الاحتلال الجديدة، وحسب تصريحات عدد من المحللين السياسيين على القنوات العبرية الصهيونية أنهما الأصعب منذ 15 عاماً، وبدل أن تكون المواجهة التي توقعها كيان الاحتلال قادمة

من قطاع غزة أو من مخيم جنين، فإنّها جاءت من القدس التي ينظر إليها على أنها خاصرة رخوة أمنياً للاحتلال في ظل سهولة دخول وتنقل المواطنين الفلسطينيين هناك.

وبالتالي نتج عن تنامي البطش والإجرام الصهيوني، جيل فلسطيني متأهب متوثب قادر على اجتراح مسار جديد للمقاومة، كرس معادلات جديدة في الضفة الغربية وفي قطاع غزة تنطلق من القدس المحتلة، تكشف مقدار القوة الفلسطينية، وفشل مجمل السياسات الاحتلالية في إعادة بناء الفلسطيني الجديد غير المتفاعل مع قضاياه الوطنية، والمؤمن بالتطبيع بل بالجنسية «الإسرائيلية» كفرد «غوييم» ضمن الدولة اليهودية.

فمثلت عمليات القدس البطولية من بعد معركة سيف القدس عام 2021، التي بقي سيفها مشرعاً لم يغمد، درساً قاسياً لكيان الاحتلال الصهيوني بمقدار ما هي درس للفلسطيني في القدرة على الرد، فالفلسطيني لا يُكسر، وكل التجارب تقول إن مقاوماً فلسطينياً واحداً وبأدوات بدائية قادر على الرد، بالإضافة إلى أن فصائل المقاومة في غزة يدها على الزناد وفق تصريح قادة الفصائل في غير مناسبة، وبأنها لن تسمح بتفكيك المقاومة وتفريقها والاستفراد بالضفة الغربية، أو بمزيدٍ من انتهاكات المسجد الأقصى.

عملية طوفان الأقصى في سياق مناهضة التطبيع مع الكيان الصهيوني

حتى جاء يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول، ذلك اليوم الموعود الذي نفذت فيه كتائب عز الدين القسام /الجناح العسكري لحركة حماس/ عملية عسكرية واسعة ضد كيان الاحتلال الصهيوني في الأرض المحتلة عام 1948 حملت اسم «طوفان الأقصى» سطرت فيها أروع الملاحم البطولية، فقضت القضاء على قوة غلاف غزة الصهيونية، وأسرت وجرحت الآلاف من الجنود والمستوطنين الصهاينة، تأكيداً على وحدة أرض فلسطين من النهر إلى البحر أولاً، ومن ثم رداً على تنامي سياسة البطش والاعتداءات المستمرة التي تشنها قوات كيان

الاحتلال وحكومته الدينية اليمنية الفاشية المتطرفة، التي تضم غلاة المتطرفين الصهاينة، ضمن برنامج ممنهج لتهويد القدس وللسيطرة عليها بشكل كامل، ولهدم المسجد الأقصى، والسيطرة على الضفة الغربية برمتها، وطرد الفلسطينيين وتهجيرهم من بيوتهم وأراضيهم ومضاعفة عدد المستوطنين فيها، وحرق القرى والمدن التي يخرج منها المقاومون وإبادتها، واستمرار الاعتقال الإداري في السجون «الإسرائيلية» والتنكيل بالأسرى، بمن فيهم الفتيات والسيدات والأطفال، وتسميم المحتجزين ومنع الماء والهواء والغذاء والدواء ونور الشمس عنهم، وفرض أشد أنواع الحصار الخانق على قطاع غزة، مع تقدم مسار تطبيع العلاقات السعودية مع كيان الاحتلال الصهيوني بما يسفر عن تحول جيوسياسي كبير، يتضمن دمج كيان الاحتلال في المنطقة بمشاريع الربط الأمني والاقتصادي، وبناء نظام إقليمي جديد (الشرق الأوسط الجديد) وفق مشروعي شمعون بيريز وبنيامين نتيناهو كما ذكرنا أعلاه، يتسيده ويديره كيان الاحتلال الصهيوني، وبالتالي إنهاء الصراع العربي الصهيوني، وتصفية القضية الفلسطينية.

مع حكمة اختيار التوقيت بذكرى حرب تشرين التحريرية، «حرب أكتوبر» 1973، بما تحمله في العقل والوجدان العربي والفلسطيني من مخزون الفخر والعزة والكرامة، حيث كان هذا التاريخ محطة فاصلة بين الهزيمة وإمكانية النصر، بين العربدة والتفوق الصهيوني والبطولة والتضحية والكبرياء العربي.

نقلت عملية طوفان الأقصى الصراع مع الكيان المسخ وداعميه، رغم الهولوكست الصهيوأمريكية في غزة، وكل الدعاية الإعلامية الغربية لشيطنة حماس والمقاومة الفلسطينية، إلى مرحلة جديدة عناوينها الرئيسية «لم يعد هناك جيش إسرائيلي لا يقهر»، و«أمنية اجتثاث الوجود الفلسطيني من أرض فلسطين بالقوة لن تتحقق»، و«حلم تهميش القضية الفلسطينية من خلال التطبيع تبخر».

فأسقطت عملية «طوفان الأقصى» صورة التفوق الاستخباري والتكنولوجي والأمني والعسكري الصهيوني، وحطمت هيبة كيان الاحتلال، وجعلت ردعه في خبر كان، وأتت كصاعقة للولايات المتحدة الأمريكية وكيان الاحتلال الصهيونيّ في آنٍ واحد، بآثارها المدمرة لمشاريع الرئيس الأمريكي جو بايدن بدفع مسار تطبيع العلاقات بين المملكة العربية السعودية وكيان الاحتلال الصهيونيّ (توقف مسار التطبيع وفق تصريح ولي العهد السعودي محمد بن سلمان)، ونعي مشروع الممر الهندي-«الشرق أوسطي»-الأوروبي الذي يحتل كيان الاحتلال فيه موقع الريادة كمركز اقتصادي وتنموي، وبالتالي يمكن أن نقول بأن ما بعد طوفان الأقصى ليس كما قبله، ومعادلات المنطقة والإقليم قيد التغيير، فالتحول الذي أرساه محور المقاومة أظهر فاعليته في تغيير موازين القوى.

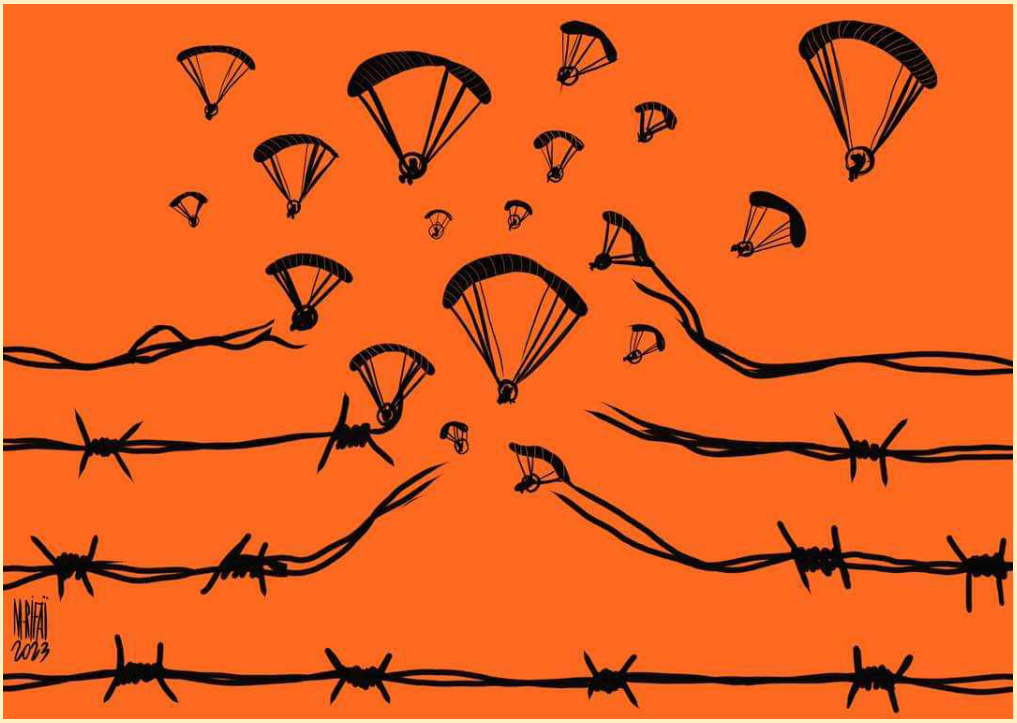

لقد غيرت عملية طوفان الأقصى المعادلة ليس فقط في قطاع غزة، إنما بشأن وجود كيان الاحتلال بالذات، وهذا ما أرعب كيان الاحتلال، وحمل بايدن على إشهار الحرب على حماس وغزة والمقاومة الفلسطينية، وكل من يحاول فتح جبهات موازية، وأرسلت الأساطيل الغربية وحاملة الطائرات الأمريكية إلى شرق المتوسط، حيث يعتبر كيان الاحتلال الصهيوني الذراع الفولاذية والثكنة العسكرية الأهم للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من دول الغرب الإمبريالي في المنطقة، وأي حرب ستندلع بتوسع عملية طوفان الأقصى بفتح جبهات أخرى ستؤدي إلى تغيير المشهد الاستراتيجي في منطقة غرب آسيا بما يقوض الوجود الأمريكي، بل كافة المصالح الأمريكية في المنطقة، بما فيها انحياز حلفائها التقليديين بعلاقاتهم نحو إيران وروسيا والصين، لذلك عملوا وما زالوا على دعم كيان الاحتلال الصهيوني لوجستياً واستخبارياً وأمنياً وعسكرياً لاستعادة موقعه ومهابته لضمان تفوقه، وعدم خسارته هذه المعركة، بل لتحقيق نتائج يتم التفاوض بناء عليها، مع التخطيط لحكومة جديدة لا تتضمن متطرفين وتلتزم بتعليمات الإدارة الأمريكية، ويأتي مواقف بعض الأنظمة الرجعية العربية منسجماً مع الموقف الأمريكي، ومغايراً لموقف الشعب العربي المتعاطف والمساند للشعب الفلسطيني سواء في مواقع التواصل الاجتماعي أو من خلال الاعتصامات والمظاهرات والمسيرات المليونية التي ترفع العلم الفلسطيني.

لا يمكن عندما نتحدث عن القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني أن نغفل عن أهمية الدور السوري، حجر رحى محور المقاومة، إذ رغم العشرية السوداء والحرب الكونية التي شنت على سورية، والتي كان أحد أهم أسبابها موقفها المبدئي من القضية الفلسطينية، ودعم قوى المقاومة في العراق ولبنان وفلسطين المحتلة، لم تتخلَ سورية «قلب العروبة النابض» عن فلسطين ولم تحد بوصلتها عن القضية يوماً، بل عملت

القيادة السورية بوسائل إعجازية، بالتعاون مع سائر أطراف محور المقاومة، لضمان وصول السلاح السوري إلى الداخل الفلسطيني المحتل، مع استمرار الدعم لفصائل المقاومة الفلسطينية.

وليس استهداف كيان الاحتلال الصهيوني خلال الأيام القليلة الماضية، ولعدة مرات، المطارات في دمشق وحلب إلا تحسباً وتهديداً لسورية من فتح جبهة الجولان، إلا أن هذا الاستهداف، مع استمرار ارتكاب المجازر الصهيونية بحق المدنيين في غزة /معظمهم من الأطفال والنساء/، ترافق مع استهداف القواعد الأمريكية في منطقة غرب آسيا من مختلف أطراف محور المقاومة، بما ينبئ بازدياد فرص اتخاذ قرار التوسع نحو حرب إقليمية، تضع وجود كيان الاحتلال الصهيوني تحت المقصلة.

وفي الختام تعيش حكومة نتيناهو بعد عملية طوفان الأقصى أحلك أيامها سواداً، إن لم نقل كيان الاحتلال الصهيوني برمته، مع ما سبق ذلك من أزمات حقيقية شديدة التعقيد داخل المجتمع بما فيه من انقسامات وشروخ وفساد في مؤسسة الجيش، بالإضافة إلى تنامي المعارضة الداخلية وتصاعد وتيرة الاحتجاجات وانضمام القطاع الاقتصادي، والتهديد بخروج رجال الأعمال والشركات ومغادرة فلسطين المحتلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية، مع استمرار التغول والوحشية والسادية والعنصرية وأعمال العنف وانتهاك المقدسات الدينية الإسلامية والمسيحية، واقتراف المجازر بحق الشعب الفلسطيني بشكل عام، وفلسطيني غزة بشكل خاص، لتؤول النتائج والتداعيات إلى مواجهة واسعة مع كيان الاحتلال الصهيوني إن أقدم على الاجتياح البري لقطاع غزة لن تكون ساحتها الأراضي الفلسطينية المحتلة فقط، بل قد تتدحرج إلى حرب كبرى تشترك فيها كل أطراف وقوى محور المقاومة التي تعاني من بطش الولايات المتحدة الأمريكية من خلال سياسات التقسيم والتجويع وسرقة الثروات والمحاصيل الزراعية أو إشعال الفتن والاضطرابات واستخدام أدواتها الإقليمية ومجاميع العصابات الإرهابية التكفيرية والانفصالية لتحقيق ذلك، من لبنان إلى سورية إلى العراق إلى إيران، وحتى صواريخ اليمن قد تكون شريكاً أساسياً في هذه الحرب التي تطرح وجود كيان الاحتلال الصهيوني على طاولة البحث وفق تصريحات قادة محور المقاومة... أو تجترح القوى الإمبريالية حلول تسوية تطيل أمد وجود كيان الاحتلال الصهيوني بضع سنين قادمة ثمنها رأس نتيناهو؟

لنسأل في الخلاصة: هل يمكن لمسار التطبيع بنسختيه القديمة والجديدة أن يستمر أو يتجدد وفق طوفان الجماهير العربية الذي ملأ الساحات نصرةً لأهل غزة ورفضاً لوجود كيان الاحتلال الغاصب لأرض فلسطين العربية؟

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 90
01 تشرين الثاني 2023

الاختراق الصهيوني لإفريقيا جنوب الصحراء: مقتطفات لبعض المحطات الرئيسية

إبراهيم حرشاوي

ترجع الروابط بين الدول الإفريقية والصهاينة إلى المرحلة الأولى بعد إنشاء الكيان الصهيوني. فخلال خمسينيات وستينيات القرن الماضي التي نالت فيها معظم الدول الإفريقية استقلالها، حظي الكيان الصهيوني بتعاطف بعض الدول الإفريقية لأسباب مختلفة، أهمها الخلفية البروتستانتية لبعض الشعوب الإفريقية (غانا نموذجاً)، أو التوجه الغربي للنخب التي استلمت الحكم من المستعمر الأوروبي (السينغال نموذجاً). من ناحية أخرى، ينبغي فهم المقاربة الصهيونية في بناء العلاقات السياسية بإفريقيا من منطلق «سياسة المحيط» الذي أطلقه دافيد بن غوريون بغرض تطوير تحالفات مع الدول الإسلامية غير العربية ودول عالم ثالثية وازنة وتابعة للمنظومة الغربية.

تجلت «سياسة المحيط» في بدايتها بطبيعة العلاقة التي نسجها الكيان الصهيوني مع تركيا وإيران في عهد الشاه لاختراق العالم الإسلامي من جهة، والإمبراطورية الإثيوبية لتطويق نفوذ مصر الناصرية بإفريقيا من جهة أخرى. وتطوّرت تلك السياسة لاحقاً بارتباط الكيان الصهيوني بـ«نادي السفاري»، وهو تحالف استخباراتي مناهض للشيوعية في إفريقيا، تأسس سنة 1976، وكان يتكون من إيران الشاه ومصر وفرنسا والمغرب والمملكة العربية السعودية.

ولتوضيح نماذج «سياسة المحيط »على الصعيد الإفريقي، يمكن تسليط الضوء على الدعم العسكري الصهيوني الذي استفادت منه إثيوبيا في حربها ضد «جبهة التحرير

الإريترية»، إذ اتخذ الدعم الصهيوني لإثيوبيا بعداً معادياً للعروبة بسبب الهوية القومية العربية التي كانت تتصف بها الحركة الاستقلالية الإريترية. وتجدر الإشارة في سياق العلاقات الإثيوبية-الصهيونية إلى أهمية المكوّن اليهودي في إثيوبيا المعروف باسم «الفلاشا» وإلى أول عملية لنقل يهود إثيوبيا إلى فلسطين المحتلة عبر «عملية موسى».

لقد تمت هذه العملية في منتصف ثمانينيات القرن الماضي، وكانت من صُنع المنسق الأمريكي المساعد لشؤون اللاجئين ريتشارد كريجر، بعد تلقيه روايات عن «اضطهاد» اليهود الإثيوبيين في مخيمات اللاجئين الإثيوبيين بالسودان، إذ التجأوا إلى السودان بسبب المجاعة التي عرفتها إثيوبيا في تلك الحقبة. وقد نفذ ريتشارد كريجر بمساعدة الموساد ووكالة المخابرات المركزية ومسؤولين سودانيين العملية عن طريق جسر جوي عبر العاصمة البلجيكية بروكسل.

ويمكن كذلك رصد ضمن مفهوم «سياسة المحيط» علاقات مشابهة. فمن المعلوم مثلاً أن الكيان الصهيوني كان من السباقين إلى الاعتراف بالسينغال كدولة مستقلة سنة 1960. وكان يتزعم السينغال آنذاك ليوبولد سنغور، وهو الرئيس المتفرنس حيث كان من مؤيدي فيدرالية الدول الإفريقية المستقلة حديثاً، وهو نوع من « الكومنولث الفرنسية». كما أنه كان معروفاً بإعجابه باليهود والصهاينة، مع أن دولة السينغال تقطنها أغلبية مسلمة كمعظم دول غرب إفريقيا.

وفي المقابل، شهدت بعض الدول الإفريقية ذات التوجه الوحدوي الإفريقي كغانا بحكم مكانة الرئيس الغاني «كوامي نكرما» المؤثرة داخل الحركة التحررية الإفريقية علاقات مميزة مع الكيان الصهيوني، إذ تعتبر غانا أول دولة في إفريقيا جنوب الصحراء نسجت علاقات ديبلوماسية مع «تل أبيب» في سنة 1955، أي قبل استقلالها بسنتين.

ومع أن العلاقات الغانية-المصرية في عهد جمال عبد الناصر كانت ممتازة نتيجة وجود قواسم مشتركة عديدة بين الزعيمين، خاصة في بلورة سياسة إفريقية مناهضة للاستعمار ومع الوحدة الإفريقية، إلا أنّ العلاقة الغانية-الصهيونية ظلت قائمة بسبب المساعدات التقنية والعسكرية التي كان يقدمها الكيان لغانا، ولو أنها تأثرت بشكلٍ ملحوظ نتيجة

التقارب المصري الغاني، ونتيجة علاقة الكيان الصهيوني الممتازة مع الدول الاستعمارية التي كانت تناهضها غانا.

أما بالنسبة لممارسة القوة الناعمة بغرض تبييض وجه الكيان الاستعماري، فلا بد من الوقوف قليلاً أمام دور الصهاينة في أعنف حرب أهلية شهدتها نيجيريا في نهاية الستينيات بين الدولة المركزية وحركة بيافرا الانفصالية التي تسببت في مقتل أكثر من مليون نيجيري. شارك الكيان مثلاً في شن حملة دعائية واسعة النطاق لبيافرا، من أجل تحويل انتباه العالم عن التعاطف مع القضية الفلسطينية، وتشويه مشاركة طيارين من مصر إلى جانب القوات المسلحة النيجيرية في تنفيذ غارات جوية على بيافرا.

وفي السياق الزمني ذاته، وتحديداً في أعقاب حرب 1967، بدأت الدول الإفريقية تدرك أن من ضروري التعامل مع الكيان الصهيوني كقوة استعمارية، مع أن «منظمة الوحدة الإفريقية» لم تأخذ موقفاً جذرياً إزاء الاحتلال الصهيوني واكتفت بتأييد قرار 242 الذي أصدره مجلس الأمن. واتخذت دولة غينيا التي كان يرأسها أحمد سيكوتوري موقفاً استثنائياً حيث كانت الدولة الإفريقية الوحيدة التي قطعت علاقتها مع «إسرائيل».

ومع ازدياد خيبة أمل الدول الإفريقية في عدم عزل الدول الغربية لنظام الأبرتهايد في جنوب إفريقيا وروديسيا والاستعمار البرتغالي، ازدادت الإرادة الإفريقية في مقاطعة الكيان الصهيوني. ففي سنة 1972، قطعت كل من أوغندا، وتشاد، ومالي، والنيجر، وكونغو برازافيل، وبوروندي، وزائير وتوجو علاقاتها بالكيان الصهيوني.

ومع حلول عام 1973، كانت جميع الدول الإفريقية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني، باستثناء ملاوي وبوتسوانا وسوازيلاند وليسوتو وجنوب إفريقيا. وعمل الكيان الصهيوني حثيثاً لفك عزلته الإفريقية بعد التطبيع الساداتي، وقد نجح في ذلك مع عودة العلاقة بين الصهاينة وزائير (الكونغو الديمقراطية).

من منظور الحرب الباردة، كان التأثير ملموساً في تحديد موقف الدول الإفريقية، حيث كانت الدول الموالية للغرب ككينيا وساحل العاج أكثر صداقة مع الكيان الصهيوني، بينما اتسمت علاقة الدول الموالية للمعسكر الاشتراكي كأنجولا وموزمبيق بالعدوانية. ولم تتحسن العلاقات بين الدول الإفريقية والكيان الصهيوني إلا بشكل تدريجي مع توقيع اتفاقيات أوسلو سنة 1993 التي جعلت كثيراً من دول العالم الثالث خارج إفريقيا تطور علاقتها مع المحتل على حساب المصلحة العربية. ويتضح جلياً أن المشروع القومي العربي في عهد جمال عبد الناصر وخاصة في مرحلة معمر القذافي الإفريقية ساهم بشكل كبير في تحجيم الاختراق الصهيوني للقارة السمراء ويمكن أن نشير هنا إلى الدور الليبي في إرغام دول كتشاد والنيجر وأوغندا على قطع علاقاتها مع الصهاينة.

الصفحة الثقافية:

«ناغوغي الصغير» بين التسامح والتطبيع

مريم نصرالله

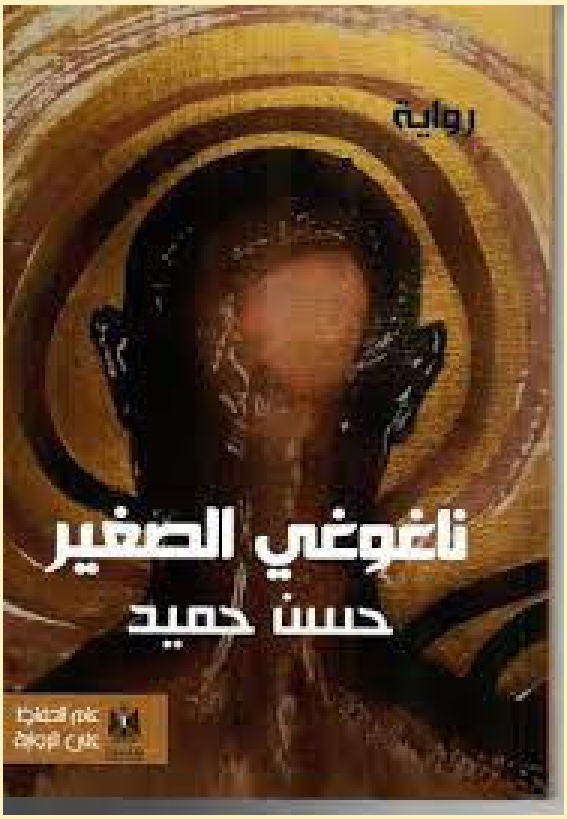

في رواية باسمه، يقطع «ناغوغي الصغير»، الإثيوبي المهاجر من إفريقيا، درب الآلام حالماً كآلاف اليهود بالجنة الموعودة، فلسطين...

وناغوغي، «رجل طويل عريض أسود، له وجه مغلق ورأس كبير أصلع وأنف أفطس يكاد يؤخذ باليدين، وشفتان غليظتان مطبقتان مثل حجري طاحون، وعينان كبيرتان يكاد بياضهما يبرق في كل آن. رجل له دهشته ووهرته وحضوره، لكأنه ابن الليل سواداً، والحجارة صمتاً وصلابة».

تصل إلينا رواية ناغوغي، أحد يهود الفلاشا، عن طريق نورا، الفتاة العربية الفلسطينية التي تسكن مع أمها في بلدة «سمخ»، حيث يدخل إلى البلاد طفلاً صغيراً «لتعلم قصص الدين واللغة العبرية وكراهية الفلسطينيين»، يعامل خلالها بعنصرية ووحشية، يبلغ بعدها العشرين من العمر فيعود إلى وطنه إثيوبيا، حاملاً على عاتقه مهمة إقناع اليهود بالهجرة إلى «إسرائيل»، الجنة الموعودة و«أرض الميعاد»، وبعد سنوات من الدعوة وتعليم القصص الدينية للأطفال والبيوت، يقرر ناغوغي التسلل إلى فلسطين عائداً إليها، فوالدته توفيت وناغوغي الكبير ضاع في الغياب، إنها ساعة العودة إلى السجن الكبير إذاً.

لفترة طويلة، يقيم ناغوغي في بيت امرأة فلسطينية، وهنالك يتقن العبرية وتقع ابنتها نورا في حبه، ثم ينطلق نحو رحلة شاقة من الذل والمهانة والعمل في كناسة الشوارع وجمع القمامة وأعمال الحفر وتقطيع الحجارة وتنظيف المجاري الصحية فنراه حارساً

شخصياً وسجيناً مظلوماً وسجاناً وحشياً وجلاداً وقاتلاً وصولاً إلى الجيش ليصبح جندياً في جيش العدو الصهيوني، عن طريق حبيبته ريفا، ضابط الموساد البولونية المتورطة بالعديد من عمليات القتل والاغتيال، وتنتهي أحداث الرواية بعودة كل منهما إلى موطنه الأصلي هرباً من جحيم سمي «إسرائيل».

في نحو ثلاثين فصلاً، يروي ناغوغي قصة إنسانية مؤثرة عن حياته، نجد فيها أنفسنا متعاطفين، للوهلة الأولى، مع الراوي، فهو المهاجر الغريب الذي ذاق مرارة الذل والهوان وعانى من الظلم في كيان عنصري أساساً، ومع ريفا العشيقة المثيرة التي تعرضت على المدى الطويل لعملية تجريد من إنسانيتها على حد قولها، وأما سابينا، الجندية السابقة، فنجدها امرأة مسكينة تجد نفسها وحيدة بحاجة إلى من يحتضنها في آخر الليل بعد مقتل زوجها الذي تصفه الرواية بأحلى الصفات، في حين تعلم شهلا، الأم الفلسطينية، نزيل دارها لغة جديدة وتجعله يتقنها، وقد نبتسم عندما نقرأ قصة ناغوغي في القدس حيث تجود عليه إحدى الأمهات الفلسطينيات برغيف خبز يوفي بنذرها، وقد نتنفس الصعداء عندما تهاجر ريفا عائدة من حيث أتت، ومثلها ناغوغي عائداً إلى مسقط رأسه.

لكن ماذا لو رويت القصة من زاوية أخرى، من الزاوية التي يجدر للرواية أن تكتب بها أساساً؟ أعني ماذا لو كانت نورا هي الشخصية التي ستحدثنا عن حياتها وتجاربها، وهي العربية الفلسطينية الرئيسية في الرواية؟ أو ماذا لو روى أبو سمرة القصة من وجهة نظره، وهو العربي الفلسطيني الآخر في هذه الرواية؟ ماذا لو كانت شهلا هي الرواي؟ فنياً، سيكون ذلك تمريناً بسيطاً لمخيلتنا الإبداعية، ووطنياً، سيكون امتحاناً حقيقياً لذواتنا أمام عملية أنسنة غير مبررة للعدو الذي احتل، وما زال، أرضنا وقتل وشرد وهجر الملايين من ديارهم. فهل سنغفر لأنفسنا مثل هذه العاطفة؟

ناغوغي الصغير من زاوية مختلفة

تتمحور الزاوية السردية في النص الأصلي حول تجربة ناغوغي بدءاً من الميلاد، مروراً بالمجيء إلى «إسرائيل» والانتساب إلى الجيش وزيارة القدس وصولاً إلى اتخاذ القرار بالفرار، وتناقش بعمق قضايا التمييز العرقي والعنصرية التي يواجهها كما تضيء على التحديات المتعلقة بالاندماج والهوية في المجتمع الإحلالي، حيث تقدم تصوّراً شاملاً للعوامل الاجتماعية والنفسية التي تؤثر على حياة الشخصيات اليهودية الرئيسية، وتشكل مساراتهم وتحولاتهم، ويتم تصوير ناغوغي كضحية للنظام السياسي والاجتماعي السائد،

حيث يعيش حياةً مظلمة ويتعرض للإهانة والاعتداء ويجد نفسه محاصراً في دور الضحية والجلاد في الوقت نفسه. كما تتناول الرواية قضية الحب والعلاقات الشخصية في حيز بعيد للغاية عن سياق الصراع القومي والثقافي، حيث يتطور حب ناغوغي لريفا، وعلاقة البطل بسابينا، وعلاقة الأخيرة بزوجها المتوفى، في حين تشذ علاقة ابن المخيم بالجندي الصهيوني عن الواقع وتشطح علاقة الحب العاصفة بين ناغوغي ونورا بعيداً لتصبح أشبه بسردة طفولية عن علاقة خيالية بين فردين يطفوان خارج الزمان والمكان.

يمنحنا تغيير زاوية السرد فرصة لاستكشاف أبعاد مختلفة من الرواية وإثراء فهمنا للشخصيات والأحداث، وقد تكشف كل زاوية سردية تفاصيل ورؤى جديدة وتعزز تجربة القراءة على طول العمل الأدبي، ويمكن تغيير زاوية السرد عن طريق تغيير السارد أو التركيز على شخصية مختلفة، مما يؤثر على تفسيرات الأحداث والمشاعر والمعاني التي تولدها التجربة الإبداعية في ذهن القارئ.

فمن زاوية مختلفة، يبرز أبو سمرة، شابٌ متعلم من مخيم شعفاط المجاور للقدس، خريج جامعة القدس الذي درس الأدب الإنكليزي ليعرف الإنكليز أكثر لكنه لم يجد وظيفة فأصبح عاملاً في مقهى. وفقاً للرواية، سيرحب ابن المخيم بالجندي الصهيوني أيما ترحيب، سيدعوه لزيارة بيته وتناول الشاي مع أسرته بعد جولة سياحية قصيرة في حارات القدس وأزقتها. وفي هذا السياق، تنكشف لنا سردية استثنائية تثير التساؤلات، ومن زاوية أخرى أيضاً، تبرز نورا، فتاة فلسطينية يفرد لها أكثر من فصل في الرواية يتم فيه تناول قصة الحب العاصفة التي اجتاحت قلبها مع جندي الاحتلال المدعو ناغوغي، «تلك التي ظلت تقبلني طوال الليل... وتبكي، أحسست أنها الوحيدة التي أحبتني لأنها أحبتني»، وهنا يبدو غريباً للغاية إصرار الكاتب على اختيار الشخصيات الفلسطينية من هذه النوعية، أفلا نجد مقاوماً واحداً في القصة؟ هل بتنا متسامحين إلى هذه الدرجة مع مغتصبي ديارنا حتى تقع بناتنا في حب الجنود أو تعلم أمهاتنا العبرية لهم أو تقدمن لهم الطعام والشراب بقلب يفيض براءة أم خنوعاً؟

يطول الحديث في زوايا السرد لكن النتيجة واحدة، إصرار على اختيار نمط معين من الشخصيات الفلسطينية التسووية، المنسلخة عن ذاتها وقيمها مقابل عملية تلميع وأنسنة حثيثة للشخصيات الصهيونية على طول الرواية.

عن الرواية والتطبيع وأسئلة أخرى

يشير مصطلح التطبيع إلى عملية تقبل وتعاون الدول أو الأفراد مع الدولة أو الكيان المحتل أو العدو الذي يقوم بانتهاك حقوقهم أو يحتل أراضيهم، وهو في تعريف الدكتور «إبراهيم علوش» جعل ما هو غير طبيعي طبيعياً، ورغم ما يثيره هذا المصطلح من جدل واسع في سياق النزاعات الوجودية، إلا أنه يرسم حداً فاصلاً بين المقاومة والخيانة، بين الصديق والعدو، وبين المجرم وصاحب الحق.

في سياق الرواية، يستقبل أبو سمرة جندياً صهيونياً بحرارة ويدعوه لزيارة منزله في المخيم ويتعامل بطريقة غير عدائية مع شخصية تمثل القوة الاحتلالية، في حين تنخرط نورا بعلاقة حب حميمة مع جندي صهيوني ذي سجل إجرامي طويل على مساحة الرواية برمتها، أما شهلا فهي مثال آخر عن التطبيع في معرض القصة. أما ريفا فتخضع لعملية أنسنة غريبة من نوعها، بينما يبقى ناغوغي المثال الصارخ على هذه الأنسنة المثيرة للاستغراب، ويطول الحديث مع كل شخصية منفصلة بذاتها بدءاً من صراعاتها النفسية الداخلية وانتهاءً بتفاعلاتها الخارجية مع المحيط، ما يضعنا في مواجهة أسئلة جوهرية في نهاية القصة حول مدى واقعية هذا التفاعل وما إذا كان يعكس الواقع السياسي والاجتماعي للصراع الوجودي على أرض فلسطين، وإن كان كذلك، فأي من هذه الشخصيات تمثلنا؟ وأي منها يمثل نموذجاً لشبابنا وبناتنا؟ وكيف يمكن أن تتفق القصة المروية مع الواقع الصعب الذي يعيشه الفلسطيني العربي تحت وحشية الاحتلال؟ ما الذي يمكن أن يعنيه التسامح الذي يظهر في قصة الرواية بالنسبة للعربي الفلسطيني؟ والأهم من ذلك كله، كيف يؤثر استخدام اللغة العربية وتصوير الشخصيات العربية في الرواية على القراء العرب وصورتهم الذاتية؟

تقع رواية الكاتب الفلسطيني حسن حميد في مئتين وسبع وأربعين صفحة، وهي من منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، وهذا غريب، وقد حازت جائزة المطبع نجيب محفوظ لأفضل رواية عربية هذا العام، وهذا أمر لا غرابة فيه على الإطلاق.

قصيدة العدد:

معلقة غزة على أسوار القدس / خالد أبو خالد

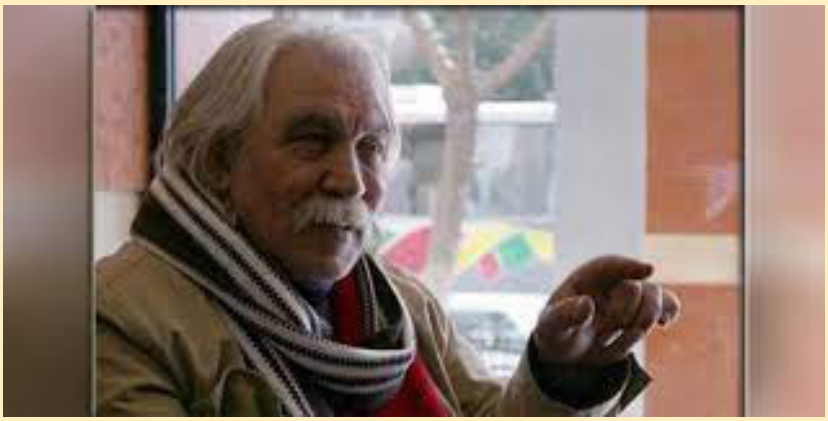

لنخيل غزة.. ما أراد... وما يريدُ
وما أريدْ..
لنجومه الأصفى.. تكون قصديتي قمراً
وبيتاً لانتصار البر.. في لغتي.. وزيتوناً ...
ودارْ ...
بيني.. وبين البحر قتل دائمٌ
بيني.. وبين القدس نيران مركبةٌ
ونارْ..
أنا حارس الحلم النبيل على شبابيك البيوتْ..
سأعود في نارنجة حلمت طويلاً بالجليلِ
أعود كي أجد الخليل.. لأصطفي قلباً لداليةٍ

تموتُ ...
ولا تموت غزالة.. قطعت على الصيادِ
نشوته.. ووزعت الشظايا.. فانتهى
الصياد في نعش القتيلْ ...
لنخيل غزة أن يرى.. ما سوف يحدثُ ..
أو جرى.. لدم المدائن.. والقرى ..
بين الرصاصة.. والقذيفة.. والوريدْ..
لسماء قريتنا تغني نخلة في القدس – عاليةَ
الجبين – ولا تؤرقها القصيدة .. أرقتها
وردة المعنى.. تؤرقها الطفولة في الحريقْ..
ويحيلها الموت المفاجئ جملةً
في دفتر الشعراء.. أو صحف الصباحْ..
لربيع أطفالي الربيعُ..
لزرقة البحر المسافر في دم المرجانِ
والهندي أخضرْ ..
أروي الحكاية .. والحكاية بين مذبحتينْ ..
مذبحة الجميلة ... والجميلْ ..
وكسرة الخبز المغمس في الردى ..
زيتاً... وزعترْ..
أروي الحكاية للرعود ... وللبروقِ ..
وللرياحْ ..
إني أخاصر بئرنا الأولى .. لأدبكَ

خارج النثر المرواغ في السياسيَّ البليغِ ..
أو البليد ..
لنخيل غزة.. أن يحاكم في الرمادي الشقيقِ ..
رماده.. ليظل أسودْ ..
أنا في الرماد نهضت مرات بأجنحتي ..
وفي النيران.. أنهضْ ..
أنا لي من الأحلام.. أحلامي.. بما يكفي ..
لأصمدْ ..
أنا لي من الألوان.. لون صواعقي.. والأفق أحمرْ ..
كان المقرر أن أموت.. فلم أمتْ ..
كان المقرر أن يغيّبني الرحيل.. فلم أغبْ..
كان المقرر أن أعيش مجرداً من ذكرياتي ..
أن أكون كشاخص الإسفلت.. منسياً
وأنسى ..
ومضى المقرر في الدخان.. وصار رمساً
لقلاع عكا.. أن ترى دمنا.. وتشهدْ..
نمت البطولة.. في الطفولة حالةٌ ..
كبرت لنصعدْ ..
أما الضفاف.. فللضفاف.. ولمن يموتُ
على الضفافْ..
ويظل حياً نهرنا المتدفق العاري.. المصفَّدْ ...
الريح أجمل بالغناء.. الريح يحملها الغناء

إلى الغناءِ ..

وأنتِ موسيقى.. وأجملْ ..

أنتِ لِشقِّيق أعراس.. وللأعراسِ

أجراس.. وبيدرْ..

لنخيل غزة وحده جدلية الرؤيا.. ومعرفةُ

العدو من الصديقْ ..

وهو الذي فضح الجريمة.. والجنونْ ..

وله الدخول إلى الصدى.. وله المدى

وله جمال القادمين إلى العريش.. الذاهبينَ

إلى صلاة الفجر.. في القدس السعيدةِ

في البعيد المخملْ ..

وله نشيدي في النشيد المطلق الأبديّ

في لغتي البديلةِ ..

أنا لي شمالي في الجنوب.. ليَّ الجهاتُ

جميعها.. وليَّ الفصولْ ..

لجنوب موالي.. مواويل الغيومْ..

لشمال موالي.. مواويل السهوبْ..

ولغرب موالي.. مواويل الجبالْ..

ولشرق موالي.. مواويلي تؤولْ ..

لنخيل غزة ـ طاهرا كالزنبق البري ـ أذهبُ

في مواويل الطفولةِ ...

لجمال سيدة تساهرها الدموع.. على الشموعْ..

لبرتقالتها الكريمة.. برتقال الشمسِ ..

ـ في العسل الجليلْ ..

سر إئتلاف السم في الدفلى

مع الورد الحنونْ -

لمساء قهوتها.. الحضورْ

ليَّ الأغاني تحت شرفتها.. جبال في البعيدِ ..

تعيش في السحب البعيدة.. والغموضِ

الأجمل الشتوي.. في الزمن الطروبْ ..

لجمالها نفرت قصائدها خيولاً في الخيولْ ..

ولأنني دمها.. اشتعلت محلقاً نحوي

لتشتعل النسورْ..

لنخيل غزة.. أن يساهرها.. على البلح الطهورْ..

وله المساحة.. والنوافذ كلها ..

حرية الإبداع في الزمن الجسورْ ..

لحريق أهلي.. صورة.. أو صورتانِ ..

وصورتان.. وصورتان.. وصورتانِ

وصورتانْ ..

أهلي الغلابا.. طيبونْ..

وبعض أهلي يغلقون علي بابي

في الزمان.. وفي المكانْ..

وبعض أهلي... بيدقٌ في المهرجانْ..

وبعض أهلي في قصور الملحِ

بعضٌ في الحصار.. يحاصِرون عدونا ..
فيُحاصَرونْ ..
وبعض أهلي.. ضالعون مع العدوِ
وكالقطيعْ ...
وبعضهم زرع الكراسي.. في الكراسي ..
واشترى بدم الطفولة صولجانْ ..
لنخيل غزة أن يحاكم بعضهم في الضوءِ ..
أو قبل اكتمال الليل.. في ليل يخونْ ..
لكتابة القلب المعلق ـ للصبي.. وللصبية
بالقلوبْ ..
لكتابة تجد انتشاري.. في المنافي.. والدروبْ ..
وكتابةٍ.. كشفت.. مرارات الحروبْ..
لفجيعة الزمن المؤقتْ..
وجدت كتابة شاعر... منذورةً
كيما تزول الفاجعاتْ..
وأنا الكتابة ـ لو تنافر معنيانِ ـ
دم الكتابة في الكتابة.. لو تآلف معنيانْ ..
شجر.. ومفتاح الكتابة.. نور أمي ..
ثوبها والشمعدانْ ...
لنخيل غزة أن يحمِّلني عليَّ.. إلى المقدَّس
أن يعلمني القراءة.. والكتابةِ ..
أن يقدمني إلى المعنى / نخيلاً في النخيل / لكي

أرى المبنى .. وأشتق الجميلْ..
لطيور غزة قوة الأشياء .. خاطَرَها
السحاب إذ استجبت .. أو استجابْ..
طير الحمام على القُبابْ ..
برج القيامة ناطر .. يوم القيامةِ
في النخيلْ ..
يوم العبور إلى السواحل .. والبحارْ..
لنخيل غزة ميجانا .. ياميجانا الحزن الخضيلْ..
لنخيل غزة أن يلم صغاره .. في العيدِ
في الفرح البسيطِ
له على البرق المؤجل ... موعدانِ
فموعدٌ لصغاره الناجين .. من زبد الدمارْ ..
وموعد يضع الحدود لم يؤنسن ذئبةً
باسم الذهاب إلى السلامْ..
لنخيل غزة أن يراسل صخرة في السِّنْدِ
أو نخل العراقْ..
لنخيل غزة بوصلات الدم .. في جسد البراقْ
لنخيل غزة أن يقاطع ما يروّجه العدو ..
وما تروّجه المزارعُ
أن يحاور كل من جاؤوا إليه من الشوارعِ
كل من وصلوا إلى الفعل المضارعْ ..
أنا لا يؤرخني الغزاةُ

ولا يؤرخ طفلتي عبد الغزاةْ ..

إني أؤرخ في البلاد .. لما تؤرخه الجيادْ..

وما تشكل بالحديدْ ..

وبالرمادْ..

إني أؤرخ في البلاد

لما تؤرخه البلاد

****

ويحدث، في غزة، أن تقوم القيامة مع كل فجر، يختفي معها بهيم الليل ويطلع الصبح المبارك صلية من صواريخ البطولة والفداء... في غزة وحدها، يسقى النخيل بدم الشهداء فيثمر، وتروى الأرض اليباب فتزهر، ويبدع الله في الخلق طية إثر الطية فتولد الأقمار، قمراً يرتقي وقمراً يأخذ بالثأر... في غزة، ولغزة، تكتب القوانين من جديد، كل شيء إلى زوال، والحق وحده لا يفنى ولا يخلق من العدم... معلقة غزة على أسوار القدس للشاعر الراحل خالد أبو خالد تحكي الكثير، عن غزة النصر وغزة المستحيل، نقرأها اليوم وما بين السطور سطور تأبى أن يخفيها رماد الحرب وضباب التسوية.

رسم العدد: #قاطع

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي